

سلسلة الهدى والنور (4)

هل افتدانا
المسيح على الصليب ؟

د. منقذ بن محمود السقار

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسل
الله أجمعين، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى
التسليم، وبعد:

انتهينا في الحلقات الماضية من سلسلتنا - سلسلة
الهدى والنور - إلى حقيقة واضحة وساطعة كما الشمس
في رابعة النهار، وهي أن الكتاب المقدس - وكما رأينا -
عمل بشري لا يمثل كلمة الله بحال من الأحوال، وعليه
فلا يصح الاستدلال به على أي من العقائد أو الأحداث
الهامة، ومن ذلك الصلب والفداء.

وتنزلاً مع النصارى في الحوار، ورغبة في عدم غلق
هذا الباب نعود لطرح سؤالين هاميين، أحدهما تاريخي،
والآخر عقدي، أولهما: هل صلب المسيح عليه السلام
كما تذكر الأناجيل، وكما تجمع الفرق النصرانية
المعاصرة؟

والسؤال الثاني، وهو متعلق بالسؤال الأول، ونطرحه
جدلاً: إن قلنا بصلب المسيح فهل كان صلبه فداء لنا
وللبشرية؟

وتثور تبعاً لهذا السؤال أسئلة كثيرة: مم الخلاص؟ من
دينونة جهنم أم من نكد الدنيا وعثراتها؟ وهل الخلاص
متعلق بذنب أبونا (آدم وحواء) فقط أم يسري إلى كافة
ذنوبنا وخطايانا؟ وهل الخلاص مشروط أم أنه منحة محبة
من الله ومسيحه، وهي أعظم من أن يطلب لها مقابل؟
ثم هل الخلاص لليهود الذين اختص المسيح بهم في
رسالته أم يمتد ليشمل الجنس البشري الذي ولد مسربلاً
بالخطيئة؟

هذه الأسئلة وغيرها نجيب عنها في حلقتنا الرابعة من
سلسلة الهدى والنور، ونجملها في سؤال يلّم شعنها:
هل افتدانا المسيح على الصليب؟

نجيب عنه بموضوعية ومنهجية علمية، نقلب صفحات
الأسفار المقدسة عند النصارى، ونحتكم وإياهم إلى
العقل المجرد والفطرة السوية، مستشهدين بدلالة
التاريخ وحكمة عقلائه من النصارى.

اللهم اهدنا لما اختلفنا فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي
من تشاء إلى صراط مستقيم.

السقار
مكة المكرمة - شعبان - 1424هـ

mongiz@maktoob.com

صلب المسيح عند النصارى:

يعتبر النصارى حادثة صلب المسيح أحد أهم أحداث المعمورة، حيث يعتقدون أن الله أنزل ابنه السيد المسيح، ليموت على الصليب ليظهر البشر من أغلال خطيئة أبيهم آدم، بل وخطاياهم جميعاً. وتؤكد الأناجيل - في إصحاحات مطولة - صلب المسيح، ذاكرةً الكثير من تفاصيل القبض عليه، ومحاكمته، وصلبه، ثم دفنه، ثم قيامته، فصعوده إلى السماء.

ومما يؤكد أهمية مسألة الصلب في الفكر النصراني أن النصارى يرون أن تجسد الإله في المسيح، هذا الحدث العظيم، إنما كان من أجل أن يصلب الإله، ويصور هذا توما الأكويني فيقول: " توجد آراء مختلفة، فيزعم البعض أن ابن الله كان سيتجسد حتى لو لم يخطئ آدم، ويرى البعض خلاف ذلك، ويبدو من الأصوب الانتماء إلى الرأي الثاني... الكتاب يقول لنا دائماً: إن خطية الإنسان الأول هي الدافع لتجسد ابن الله، وعليه يظهر أن هذا السر إنما رتبته الله كدواء للخطيئة؛ بحيث إنه لولا الخطيئة لما كان التجسد "

ويصور الكاردينال الإنجليزي مينيغ أهمية حادثة الصلب في كتابه " كهنوت الأبدية " فيقول: " لا تخفى أهمية هذا البحث الموجب للحيرة، فإنه إذا لم تكن وفاة المسيح صلباً حقيقية، فحينئذ يكون بناء عقيدة الكنيسة قد هدم من الأساس، لأنه إذا لم يمت المسيح على الصليب، لا توجد الذبيحة، ولا النجاة، ولا التثليث.. فبولس والحواريون وجميع الكنائس كلهم يدعون هذا، أي أنه إذا لم يمت المسيح لا تكون قيامة أيضاً " . ويقول جوردن مولتمان في كتابه " الإله المصلوب " : " إن وفاة عيسى على الصليب هي عصب كل العقيدة المسيحية، إن كل النظريات المسيحية عن الله، وعن الخليقة، وعن الخطيئة، وعن الموت، تستمد محورها من المسيح المصلوب "

وهذا ما أكد عليه بولس حين ألغى دور الناموس معتمداً على أن المسيح صلب مكفراً بصلبه الخطيئة، فافتدانا بذلك من لعنة الناموس، فيقول: " وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطل كرازتنا، وباطل أيضاً إيمانكم " (كورنثوس (1) (15/14).

وعليه نرى جلياً أهمية هذا الحدث التاريخي في الفكر
النصراني، إذ يعتبره النصارى المحور الذي تدور حوله
الحياة الإنسانية على وجه هذه البسيطة.

صلب المسيح عند المسلمين

وأما الرأي الإسلامي فيتلخص في أن المسيح عليه السلام لم يصلب كما يدعي اليهود والنصارى. وقد استند المسلمون - في هذا الرأي المخالف لما أجمعت عليه الأناجيل - إلى آيات القرآن الكريم وهي تقرر ذلك.

فقد أشارت الآيات إلى المؤامرة التي جرت للمسيح، وقررت أموراً يلحظها قارئ الآيات، فقد تحدثت الآيات عن نجاة المسيح من مؤامرة أعدائه، فقد قال تعالى - في معرض تعديده لنعم الله على المسيح -: ﴿...﴾

﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾ (:)
﴿...﴾

﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾ (:)

﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾ (:)

﴿...﴾
﴿...﴾ (:)
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾ - -
﴿...﴾

﴿...﴾
﴿...﴾ (:)

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

نقد الروايات الإنجيلية لحادثة الصلب

تناقل النصارى روايات صلب المسيح جيلاً بعد جيل، حتى إذا جاء القرن الميلادي السابع، أعلن محمد صلى الله عليه وسلم بطلان وقوع الصلب على المسيح. ويتساءل النصارى كيف له أن يقول ذلك، وأن يكذب الحواريين وشهود العيان الذين سجلوا لنا بشهاداتهم الخطية ما رأوه؟

فالأناجيل التي كتبها الإنجيليون الأربعة هي برهان

القوم لو سئلوا، وقيل لهم: **لماذا** لم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

لأنهم كانوا يفتخرون بما رأوه، ولم يكتبوا ما رأوه؟

تناقضات روايات الصلب في الأناجيل

وتتحدث الأناجيل الأربعة - وهي المصدر الأساس لقصة الصلب - عن تفاصيل كثيرة في رواية الصلب، والمفروض لو كانت هذه الروايات وحيًا كما يدعي النصارى، أن تتكامل روايات الإنجيليين الأربعة وتتطابق. ولكن عند تفحص هذه الروايات نجد كثيراً من التناقضات والاختلافات التي لا يمكن الجمع بينها، ولا جواب عنها إلا التسليم بكذب بعض هذه الروايات، أو تكذيب رواية متى في مسألة، وتكذيب مرقس في أخرى...

من هذه التناقضات:

هل ذهب رؤساء الكهنة للقبض على المسيح؟
 من الذي ذهب للقبض على يسوع؟ يقول متى: " جمع كثير بسيف وعصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب " (متى 26/52)، وزاد مرقس بأن ذكر أن من الجمع الكتبة والشيوخ (انظر مرقس 14/43)، فيما ذكر يوحنا أن الآتين هم جند الرومان وخدم من عند رؤساء الكهنة (انظر يوحنا 18/3) ولم يذكر أي من الثلاثة مجيء رؤساء الكهنة، ولو كانوا قد حضروا لما صح إغفال ذكرهم مع الحاضرين، فهم ليسوا أقل أهمية من الكتبة والشيوخ والدهماء.

ولكن لوقا ذكر أن رؤساء الكهنة جاءوا بأنفسهم للقبض على المسيح إذ يقول: " قال يسوع لرؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه " (لوقا 22/52)، فالتناقض بين لوقا والباقيين ظاهر.

متى حوكم المسيح؟

وتذكر الأناجيل محاكمة المسيح، وتتفق في وصف الكثير مما جرى في أثناء المحاكمة، كاستفسار كبير الكهنة عن شخص المائل بين يديه، وإجابته له أن ابن الإنسان عن يمين قوة الله، وأنه سوف يأتي في سحاب السماء. (انظر لوقا 22/67-69، ومرقس 14/61-63، ومتى 26/63-64).

ولكنهم اختلفوا في موعد هذه الجلسة من جلسات المحاكمة، إذ جعلها لوقا صباح الليلة التي قبض عليه فيها فيقول: " ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب

رؤساء الكهنة والكتبة، وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين: إن كنت أنت المسيح فقل لنا؟.... " (لوقا 22/66 - 67).
وأما الإنجيليون الثلاثة فإنهم يجعلون المحاكمة في ليلة القبض عليه، فيقول مرقس: " فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة، فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة " (مرقس 14/53) (وانظر: متى 26/57، ويوحنا 18/3).

كم مرة سيصيح الديك؟

وتبع بطرس المسيح من بعيد ليرى محاكمته، وقد أخبره المسيح بأنه سينكره في تلك الليلة ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك مرتين حسب مرقس " قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات " (مرقس 14/72) ومرة حسب الثلاثة، يقول لوقا: " قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات " (لوقا 22/60) (انظر: متى 26/74، يوحنا 18/27) وقد ذكر الثلاثة خلال القصة صياحاً واحداً فقط، خلافاً لما زعمه مرقس، فقد ذكر صياحين للديك.

أين تعرفت عليه الجارية أول مرة؟

وأثناء متابعة بطرس للمحاكمة تعرف بعض الموجودين في المحاكمة عليه، وعرفوا أنه من أتباع المسيح، مما اضطر بطرس لإنكار ذلك ثلاث مرات.
وتتفق الأناجيل في أنه تعرفت عليه في المرة الأولى جارية، وتختلف في تحديد المكان الذي تعرفوا فيه على بطرس، فيذكر متى ويوحنا أنه كان حينذاك خارج الدار " وأما بطرس فكان جالساً خارجاً في الدار. فجاءت إليه جارية قائلة: وأنت كنت مع يسوع الجليلي " (متى 26/69، 75)، ويؤكد يوحنا بقوله: " وأما بطرس فكان واقفاً عند الباب خارجاً " (يوحنا 8/16).
وذكر مرقس ولوقا أنه كان داخل الدار يستدفئ من البرد، يقول مرقس: " بينما كان بطرس في الدار أسفل جاءت إحدى جوارى رئيس الكهنة. فلما رأت بطرس يستدفئ نظرت إليه وقالت: وأنت كنت مع يسوع الناصري " (مرقس 14/66)، وفي لوقا: "ولما أضرموا ناراً في وسط الدار وجلسوا معاً جلس بطرس بينهم. فرأته جارية جالساً عند النار، فتغرسست فيه وقالت: وهذا كان معه .. " (لوقا 22/55-56)، فهل كان بطرس داخل الدار أم خارجها؟

من الذي تعرف على المسيح في المرة الثانية والثالثة؟
وأما المرة الثانية فقد تعرفت عليه حسب مرقس
نفس الجارية التي تعرفت عليه في المرة الأولى، يقول:
" فرأته الجارية أيضاً، وابتدأت تقول للحاضرين: إن هذا
منهم " (مرقس 14/69).

ولكن حسب متى فإن الذي تعرف عليه جارية أخرى
غير الأولى " ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت
للذين هناك: وهذا كان مع يسوع الناصري " (متى 26/71).

ويخالفهما جميعاً لوقا الذي ذكر أن الذي تعرف عليه
هذه المرة رجل من الحضور وليس جارية، فيقول: " وبعد
قليل رآه آخر وقال: وأنت منهم، فقال بطرس: يا
إنسان، لست أنا " (لوقا 22/58).

ويحاول يوحنا الخروج من الخلاف والجمع بين الأقوال
المتناقضة للثلاثة الذين سبقوه، فيستعير قصة الإنكار
الثالث لبطرس حين أشار جمع إليه، فيجعلها في الإنكار
الثاني، فيقول: " سمعان بطرس كان واقفاً يصطلي،
فقالوا له: ألسنت أنت أيضاً من تلاميذه؟ فأنكر ذلك،
وقال: لست أنا " (يوحنا 18/25).

وهذه الصيغة في التعرف على بطرس بواسطة
الجموع ذكرها مرقس ومتى في سياق الإنكار الثالث،
حيث يقول مرقس: " وبعد قليل أيضاً قال الحاضرون
لبطرس: حقاً أنت منهم، لأنك جليلي أيضاً، ولغتك تشبه
لغتهم. فابتدأ يلعن ويحلف: إني لا أعرف هذا الرجل الذي
تقولون عنه " (مرقس 14/70-71).

وكذا ذكرها متى في الإنكار الثالث، فقال: " بعد قليل
جاء القيام وقالوا لبطرس: حقاً أنت أيضاً منهم، فإن
لغتك تظهرك، فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف: إني لا أعرف "
(متى 26/73-74).

وأما لوقا ويوحنا فجعلوا المتعرف على بطرس هذه
المرة (الثالثة) رجل واحد، وليس مجموعة من
الموجودين في المحكمة، يقول لوقا: " ولما مضى نحو
ساعة واحدة أكد آخر قائلاً: بالحق إن هذا أيضاً كان معه،
لأنه جليلي أيضاً، فقال بطرس: يا إنسان لست أعرف ما
تقول " (لوقا 22/59-60).

ويصادق على كلامه يوحنا، فيذكر أن هذا الرجل أحد
عبيد رئيس الكهنة " قال واحد من عبيد رئيس الكهنة،
وهو نسيب الذي قطع بطرس أذنه: أما رأيتك أنا معه في
البستان؟ فأنكر بطرس أيضاً" (يوحنا 18/26)، فهل
الذي تعرف على بطرس في المرة الثانية نفس الجارية
أم جارية أخرى أم رجل؟ وهل أنكر بطرس المسيح في
المرة الثالثة بسبب تعرف الجمع على لهجته أم بسبب
عبد رئيس الكهنة الذي رأى بطرس في البستان مع
تلاميذ المسيح؟

لماذا حبس بارباس؟

وتختلف الأناجيل في تحديد السبب الذي من أجله
حبس بارباس في سجن بيلاطس، فيذكر يوحنا بأنه كان
لصاً " وكان بارباس لصاً" (يوحنا 18/40).
واتفق مرقس ولوقا على أنه صاحب فتنة، وأنه قتل
فيها فاستوجب حبسه، يقول لوقا: " أطلق لنا بارباس،
وذاك كان قد طرح في السجن لأجل فتنة حدثت في
المدينة وقتل" (لوقا 23/19، وانظر: مرقس 15/7).
من الذي حمل الصليب المسيح أم سمعان؟
وصدر حكم بيلاطس بصلب المسيح، وخرج به اليهود
لتنفيذ الحكم، وفيما هم خارجون لقيهم رجل يقال له
سمعان، فجعلوه يحمل صليب المسيح يقول مرقس: "
ثم خرجوا لصلبه، فسخروا رجلاً مجتازاً كان آتياً من
الحقل، وهو سمعان القيرواني أبو الكسندروس وروفس
ليحمل صليبه" (مرقس 15/20 - 22) و (انظر: متى
27/32، لوقا 23/26).

لكن يوحنا يخالف الإنجيليين الثلاثة، فيجعل المسيح
حاملاً لصلبه بدلاً من سمعان، يقول يوحنا:
" فأخذوا يسوع ومضوا به، فخرج وهو حامل صليبه إلى
الموضع الذي يقال له: الجمجمة"
(يوحنا 19/17)، ولم يذكر يوحنا شيئاً عن سمعان
القيرواني، فمن الذي حمل الصليب، سمعان أم المسيح
عليه السلام؟

نهاية يهوذا

ويتحدث العهد الجديد عن نهايتين مختلفتين للتلميذ
الخائن يهوذا الأسخريوطي الذي خان المسيح، وسعى
في الدلالة عليه وتسليمه مقابل ثلاثين درهماً من الفضة،

فيقول متى: " لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم وردّ الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ، قائلاً: قد أخطأت، إذ سلمت دماً بريئاً. فقالوا: ماذا علينا؟ أنت أبصر. فطرح الفضة في الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نفسه، فأخذ رؤساء الكهنة الفضة، وقالوا: لا يحل أن نلقيها في الخزانة، لأنها ثمن دم. فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء. لهذا سمي ذلك الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم " (متى 27/2-5).

ولكن سفر أعمال الرسل يحكي نهاية أخرى ليهوذا وردت في سياق خطبة بطرس، حيث قال: "أيها الرجال الإخوة، كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب الذي سبق الروح القدس فقاله بغم داود عن يهوذا الذي صار دليلاً للذين قبضوا على يسوع، إذ كان معدوداً بيننا، وصار له نصيب في هذه الخدمة، فإن هذا اقتنى حقلاً من أجره الظلم، وإذا سقط على وجهه انشق من الوسط، فانسكبت أحشاؤه كلها، وصار ذلك معلوماً عند جميع سكان أورشليم، حتى دعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دما، أي حقل دم " (أعمال 1/16-20).

فقد اختلف النصارى في جملة من الأمور:

- كيفية موت يهوذا، فإما أن يكون قد خنق نفسه ومات ثم مضى وخنق نفسه، وإما أن يكون قد مات بسقوطه، حيث انشقت بطنه وانسكبت أحشاؤه فمات "وإذا سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها"، ولا يمكن أن يموت يهوذا مرتين، كما لا يمكن أن يكون قد مات بالطريقتين معاً.

- من الذي اشترى الحقل، هل هو يهوذا "فإن هذا اقتنى حقلاً من أجره الظلم"، أم الكهنة الذين أخذوا منه المال "فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري"؟
- هل مات يهوذا نادماً "لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم... قد أخطأت، إذ سلمت دماً بريئاً" أم معاقباً بذنبه كما يظهر من كلام بطرس؟

- هل رد يهوذا المال للكهنة "وردّ الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ"، أم أخذه واشترى به حقلاً "فإن هذا اقتنى حقلاً من أجره الظلم"؟

- هل كان موت يهوذا قبل صلب المسيح وبعد المحاكمة "ودفعوه إلى بيلاطس البنطي الوالي، حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم... فطرح

الفضة في الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه " أم أن ذلك كان فيما بعد، حيث مضى واشترى حقلاً ثم مات في وقت الله أعلم متى كان؟

- هل سمي الحقل حقل دم لأنه كان ثمناً لدم المسيح " فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا: لا يحل أن نلقيها في الخزانة، لأنها ثمن دم، فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء، لهذا سمي ذلك الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم"، أم سمي بذلك لأن دم يهوذا قد سال فيه لما انشق بطنه " فإن هذا اقتنى حقلاً من أجرة الظلم، وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط، فانسكبت أحشاؤه كلها، وصار ذلك معلوماً عند جميع سكان أورشليم، حتى دعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دما، أي حقل دم".

ما موقف المصلوبين من جارهما على الصليب؟
وتتحدث الأناجيل عن تعليق المسيح على الصليب، وأنه صلب بين لصين أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره، ويذكر متى ومرقس أن اللصين استهزءا بالمسيح، يقول متى: " بذلك أيضاً كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه" (متى 27/44، ومثله في مرقس 15/32).

بينما ذكر لوقا بأن أحدهما استهزء به، بينما انتهره الآخر، ولم يوافق في استهزائه وسخريته بالمسيح، يقول لوقا: " وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلاً: إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا. فأجاب الآخر، وانتهره قائلاً: أولا تخاف الله .. فقال له يسوع: الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس" (لوقا 23/39 - 43).

آخر ما قاله المصلوب قبل موته
أما اللحظات الأخيرة في حياة المسيح فتذكرها الأناجيل، وتختلف في وصف المسيح حينذاك، فيصور متى ومرقس حاله حال اليائس القانط ينادي ويصرخ: " إلهي إلهي لماذا تركتني " ثم يُسلم الروح. (متى 27/46 - 50، ومرقس 15/34 - 37).

وأما لوقا فيرى أن هذه النهاية لا تليق بالمسيح، فيصوره بحال القوي الراضي بقضاء الله حيث قال: " يا

أبتاه في يدك أستودع روحي، ولما قال هذا أسلم الروح
" (لوقا 23/46) .

ويتجنب يوحنا وصف مشاعر المسيح دفعا للحرج، لكنه
يسجل مقالة أخرى ينسبها للمسيح ويجعلها آخر كلماته
على الصليب، فيقول: " فلما أخذ يسوع الخل قال: قد
أكمل. ونكس رأسه، وأسلم الروح " (يوحنا 19/30)، فأى
الكلمات كانت آخر كلام المسيح، وأي الحاليين كان حاله
على الصليب؟

متى انشق حجاب الهيكل
ويرى الإنجيليون أنه لا يليق أن تكون نهاية المسيح
عادية كسائر الأموات، بل لابد أن تصحبها بعض الأحداث
الكبيرة، والتي يختلفون في نسجها وفقاً لخيالاتهم
الخصبة، لكنهم على أي حال يتفقون على واحدة منها،
وهي انشقاق حجاب الهيكل، من غير أن يتفقوا على
لحظة حصوله، فمرقس يجعله بعد وفاة المسيح، فيقول:
" فصرخ يسوع بصوت عظيم، وأسلم الروح، وانشق حجاب
الهيكل إلى اثنين، من فوق إلى أسفل " (مرقس 15/37-
38).

أما لوقا المتتبع لكل شيء بتدقيق فإنه يخالف البشير
مرقس أول الإنجيليين تأليفاً، ويرى أن تلك الأعجوبة كانت
قبل موت المسيح، فيقول: " وكان نحو الساعة السادسة،
فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة،
وأظلمت الشمس، وانشق حجاب الهيكل من وسطه،
ونادى يسوع بصوت عظيم وقال: يا أبتاه، في يدك
استودع روحي، ولما قال هذا، أسلم الروح " (لوقا
23/44-46)، فانشقاقه كان قبل موت المسيح خلافاً لما
زعمه مرقس.

تناقضات قصة القيامة
وتتحدث الأناجيل الأربع عن قيامة المسيح بعد دفنه،
وتمتلىء قصص القيامة في الأناجيل بالمتناقضات التي
تجعل من هذه القصة أضعف قصص الأناجيل.

متى أتت الزائرات إلى القبر؟
تتحدث الأناجيل عن زائرات للقبر في يوم الأحد،
ويجعله مرقس بعد طلوع الشمس، فيقول: "وباكرأ جداً
في أول الأسبوع أتين إلى القبر، إذ طلعت الشمس، وكنن
يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر،
فتطلعن، ورأين أن الحجر قد دحرج " (مرقس 16/2-3).
لكن لوقا ومثي يجعلون الزيارة عند الفجر، وينص
يوحنا على أن الظلام باق، يقول يوحنا: "في أول
الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرأ، والظلام
باق، فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر" (يوحنا 20/1)،
(انظر: متى 28/1، لوقا 24/1).

من زار القبر؟
أما الزائرات والزوار، فهم حسب يوحنا مريم المجدلية
وحدها كما في النص السابق " جاءت مريم المجدلية إلى
القبر باكرأ " (يوحنا 20/1 - 3).
وأضاف متى مريم أخرى أبهما " جاءت مريم المجدلية
ومريم الأخرى لتنظرا القبر " (متى 28/1).
لكن مرقس يقيد قراءه أن الزائرات هن مريم
المجدلية وأم يعقوب وسالومة، فيقول: "اشترت مريم
المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً لياتين
ويدهنه " (مرقس 16/1).
وأما لوقا فيخبر أن القادمات للزيارة كن نساء كثيرات
ومعهن أناس، يقول لوقا: "وتبعته نساء كنن قد أتين معه
من الجليل ونظرن القبر وكيف وضع جسده. ثم في أول
الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي
أعددهن ومعهن أناس. فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر"
(لوقا 23/55 - 24/1). وهذا كله إنما كان في زيارة
واحدة.

متى دحرج الحجر؟
ثم هل وجد الزوار الحجر الذي يسد القبر مدحرجاً أم
دحرج وقت الزيارة؟

يقول متى: " وإذا زلزلة عظيمة حدثت، لأن ملاك الرب نزل من السماء، جاء ودحرج الحجر عن الباب، وجلس عليه " (متى 28/2)، فيفهم منه أن الدحرجة حصلت وقتذاك.

بينما يذكر الثلاثة أن الزائرات وجدن الحجر مدحرجاً، يقول لوقا: " أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه ومعهنَّ أناس. فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر " (لوقا 24/2) (وانظر: مرقس 16/4، يوحنا 20/1).

ماذا رأَت الزائرات؟

وقد شاهدت الزائرات في القبر شاباً جالساً عن اليمين، لابساً حُلَّة بيضاء حسب مرقس (انظر: مرقس 16/5)، ومتى جعل الشاب ملاكاً نزل من السماء. (انظر: متى 28/2)، ولوقا جعلهما رجلين بثياب براقعة. (انظر: لوقا 24/4).

وأما يوحنا فقد جعلهما ملكين بثياب بيض، أحدهما عند الرأس، والآخر عند الرجلين. (انظر يوحنا 20/12).

هل أسرت الزائرات الخبر أم أشاعته؟

ويتناقض مرقس مع لوقا في مسألة: هل أخبرت النساء أحداً بما رأين أم لا؟ فمرقس يقول: " ولم يقلن لأحد شيئاً، لأنهن كن خائفات " (مرقس 16/8)، ولوقا يقول: " ورجعن من القبر، وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله " (لوقا 24/9).

لمن ظهر المسيح أول مرة؟

وتختلف الأناجيل مرة أخرى في عدد مرات ظهور المسيح لتلاميذه، وفيمن لقيه المسيح في أول ظهور؟ فمرقس ويوحنا يجعلان الظهور الأول لمريم المجدلية (انظر: مرقس 16/9، يوحنا 20/14). ويضيف متى: مريم الأخرى (انظر: متى 28/9).

بينما يعتبر لوقا أن أول من ظهر له المسيح هما التلميذان المنطلقان لعمواس (انظر: لوقا 24/13).

كم مرة ظهر المسيح؟ وأين؟

ويجعل يوحنا ظهور المسيح للتلاميذ مجتمعين ثلاث مرات. (انظر: يوحنا 20/19، 26) بينما يذكر الثلاثة للمسيح ظهوراً واحداً (انظر: متى 28/16، مرقس 16/14، لوقا 24/36).

ويجزم لوقا المتتبع لكل شيء بتدقيق أن المسيح ظهر للتلاميذ مرة واحدة، وقد رُفِع في نهاية هذه المقابلة، فيقول: "وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم، وقال لهم: سلام لكم، فجزعوا وخافوا، وظنوا أنهم نظروا روحاً .. وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا، ورفع يديه وباركهم، وفيما هو يباركهم انفرد عنهم، وأصعد إلى السماء" (لوقا 24/36 - 51).

وهذا اللقاء الأول والأخير بين المعلم وتلاميذه يرى لوقا أنه قد تم في أورشليم، فيقول: "ورجعا إلى أورشليم، ووجدا الأحد عشر مجتمعين هم والذين معهم، وهم يقولون: إن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان ... وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم، وقال لهم: سلام لكم" (لوقا 24/33 - 36).

بينما يقول صاحبا (متى ومرقس) بأن ذلك كان في الجليل " أما الأحد عشر تلميذاً، فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل، حيث أمرهم يسوع، ولما رأوه سجدوا له " (متى 28/10)، (وانظر مرقس 16/7)، فهل كان لقاءهم في الجليل أم في أورشليم؟

هل حضر توما اللقاء مع الأول مع المسيح وعند غض الطرف عن عدد ظهورات المسيح للتلاميذ فإننا نتساءل عن الحضور الذين رأوا المسيح في اللقاء الأول حيث كان التلاميذ مجتمعين في أورشليم أو الجليل، هل كانوا جميعاً موجودين أم أن أحدهم وهو توما الشكاك كان غائباً عن هذا اللقاء؟

متى يرى أن التلاميذ الاثني عشر كانوا موجودين خلا يهوذا الخائن، فيقول: "وأما الأحد عشر تلميذاً، فانطلقوا إلى الجليل، إلى الجبل، حيث أمرهم يسوع، ولما رأوه سجدوا له، ولكن بعضهم شكوا" (متى 28/16-17)، يفهم منه أن توما كان أحد أولئك الساجدين حينذاك، ولعله هو من عناه متى حين قال: "ولكن بعضهم شكوا"

لكن يوحنا يجزم بغياب توما عن اللقاء الأول، ويقول: "أما توما أحد الاثني عشر الذي يقال له التوام، فلم يكن معهم حين جاء يسوع، فقال له التلاميذ الآخرون: قد رأينا الرب" (يوحنا 20/19-25)، والحديث بالطبع عن اللقاء الأول، وقد لقيه بعد ذلك بثمانية أيام، وشك في شخص

من يراه، وأراه المسيح يديه ورجليه كما قال يوحنا.
(انظر يوحنا 20/26-27).

لكن العجب كل العجب فيما أضافه بولس في اللقاء الأول، لقد أضاف ضعفاً غريباً ثقيلاً، وهو يهوذا الأسخريوطي، التلميذ الخائن الهالك، فقد قال: " قام في اليوم الثالث حسب الكتب، وإنه ظهر لصفا، ثم للاثني عشر " (كورنثوس 1) (15/4)، إنه تناقض صارخ آخر من تناقضات هذه الرواية التي تعتبر بحق أضعف أجزاء العهد الجديد.

كم بقي المسيح قبل رفعه؟
ونشير أخيراً إلى تناقض كبير وقعت فيه الأناجيل، وهي تتحدث عن ظهور المسيح، ألا وهو مقدار المدة التي قضاه المسيح قبل رفعه.

ويفهم من متى ومرقس أن صعوده كان في يوم القيامة (انظر: متى 28/8 - 20، مرقس 16/9 - 19، ولوقا 24/1 - 53).

بيد أن مؤلف أعمال الرسل - والمفترض أنه لوقا - جعل صعود المسيح للسماء بعد أربعين يوماً من القيامة. (انظر: أعمال 1/13).

وبهذه التناقضات وغيرها سقطت شهادة الشهود في هذه المسألة، وصح لأي محكمة أن تعتبرهم شهود زور، وهل يُعرف شهود الزور إلا بمثل هذه التناقضات، أو أقل منها؟

تفرد أحد الإنجيليين في الرواية

وينفرد أحد الإنجيليين بذكر حوادث قد تكون مهمة، ومع ذلك أغفلها الآخرون، وقد يتبادر للذهن لأول وهلة أن ذلك يرجع لنظرية تكامل الروايات التي لا تعتبر زيادات البعض في روايتهم ضرباً من التناقض والتعارض. وهذا ليس بصحيح، إذ معرفتنا البسيطة بتدوين الإنجيل وتاريخه تُنبئنا بأن الإنجيليين اعتمد اللاحق فيهم على السابق، فأغفال اللاحق لبعض ما ذكره سلفه، إنما يرجع لتشككه في جدوى الرواية، أو صحتها، أو تناسقها مع المعتقد، وهو ما يقال أيضاً في الإضافة التي قرر المتأخر زيادتها عن السابق.

ولعل مما يوضح الصورة ويجليها نقل مقدمة لوقا الذي يقول: " رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق.... لتعرف صحة الكلام الذي عُلمت به " (لوقا 1/3 - 4)، فهو ينقل عن السابقين له بتدقيق وإمعان في رواياتهم، وما يدعه من مروياتهم إنما تركه لعدم وثوقه بهذه الروايات.

وقد انفرد بعض الإنجيليين بذكر أحداث مهمة تشير أسئلة استفهام كبيرة، تبحث عن إجابة، ومن هذه الأمور التي انفرد بها أحد الإنجيليين:

- انفرد لوقا فذكر في وصف ليلة القبض على المسيح أموراً لم يذكرها غيره، ومنها: أنه بالغ في إظهار جزع المسيح، حتى إن الله أيده بملاك يقويه، وكأنه أوشك على الانهيار. يقول لوقا: " وظهر له من السماء ملاك يقويه، وإذ كان في جهاد، كان يصلي بأشد لاجحة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض " (لوقا 22/43 - 44).

وهاتان الفقرتان - رغم وجودهما في أكثر النسخ المتداولة - فإن المراجع القديمة تحذفهما، كما نقل أحمد عبد الوهاب عن جورج كيرد مفسر إنجيل لوقا حيث يقول: " فإن هذا الحذف يمكن إرجاع سببه إلى فهم أحد الكتبة بأن صورة يسوع هنا قد اكتنفها الضعف البشري، كان يتضارب مع اعتقاده في الابن الإلهي الذي شارك أباه في قدرته القاهرة " .

ولعل هذا ما دعا الإنجيليين إلي تجاهل هذا الوصف الدقيق، بل إن يوحنا لم يذكر شيئاً عن معاناة المسيح وآلامه تلك الليلة، وذلك للسبب نفسه بالطبع.

ولنا أن نتساءل كيف عرف لوقا بنزول الملاك؟ وكيف شاهد عرقه وهو يتصبب منه على هذه الكيفية؛ كيف ذلك وجميع التلاميذ نيام كما وصفهم لوقا بعدها مباشرة بقوله: " ثم قام من الصلاة، وجاء إلى تلاميذه، فوجدهم نياماً من الحزن " (لوقا 22/45) ؛ كما أن المسيح لم يكن بجوارهم، فقد كان يصلي بعيداً عنهم "انفصل عنهم نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه وصلى " (لوقا 22/41).

- ذكر الإنجيليون ضرب أحد التلاميذ لعبد رئيس الكهنة بالسيف، وأنه قطع أذنه، وتكامل الروايات، فيذكر يوحنا أن اسم العبد ملخس، وأن الأذن هي اليمنى، فيما لم يحدد متى ومقرس اسم الضارب، كما لم يحدد الأذن المضروبة.

لكن أحداً منهم - سوى لوقا الغائب حينذاك - لم يذكر أن المسيح أبرأ أذن العبد وردّها، وهي ولاشك معجزة كبيرة ستترك أثراً في تلك الجموع الكافرة.. " فأجاب يسوع: دعوا إليّ هذا، ولمس أذنه وأبرأها " (لوقا 22/51)، ولم يذكر لوقا أي ردة فعل للجند والجموع تجاه هذه المعجزة الباهرة. وكان شيئاً لم يكن.

- كما انفرد مقرس بواحدة أخرى، وهي: قصة الشاب الذي هرب من الشبان، فأمسكوا بإزاره الذي يلبسه على عري، فترك الإزار، وهرب منهم عرياناً. (انظر: مقرس 14/51-52).

- وأيضاً انفرد يوحنا بأن المسيح طلب من الجند أن يدعوا تلاميذه يهربون. (انظر: يوحنا 18/8) مع أن أحداً لم يتعرض لتلاميذه، لكن يوحنا يريد بذلك أن يحقق نبوءة توراتية، فقد قال بعدها " لئتم القول الذي قاله: إن الذين أعطيتني لم أهلك منهم أحداً " (يوحنا 18/9).

- وانفرد يوحنا عن بقية الإنجيليين، فذكر أن الجند لما همّوا بالقبض على يسوع، وقعوا على الأرض، يقول يوحنا: " فلما قال لهم: إني أنا هو رجعوا إلى الوراء، وسقطوا على الأرض " (يوحنا 18/6)، ولم يذكره غيره، فما الذي أخاف الجنود حتى سقطوا ؟

إنه خوفهم من الملائكة الذين حموا المسيح، فذاك الذي سبب لهم هذا السقوط، كما في النبوءة التوراتية: " لا يلاقيك شر، ولا تدنو ضربة من خيمتك، لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك، على الأيدي

يحملونك، لئلا تصطدم بحجر رجلك " (المزمور 109/14-16).

- وانفرد يوحنا فذكر ذهابهم بالمسيح إلى حنان حما رئيس الكهنة قيافا، ثم أخذ بعدها إلى قيافا الكاهن. (انظر يوحنا 18/12 - 13).

- وانفرد لوقا بذكر إرسال بيلاطس المسيح إلى هيرودس حاكم الجليل، مع أن هيردوس مات قبل ذلك بكثير، وذلك إبان طفولة المسيح، يقول متى: " فلما مات هيردوس إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر قائلاً: قم وخذ الصبي وأمه، واذهب إلى أرض إسرائيل، ولكن لما سمع أن أرخيلوس يملك على اليهودية عوضاً عن هيرودس أبيه... " (متى 2/19 - 20)، فلو صدق متى في خبر وفاة هيرودس زمن طفولة المسيح فإن لوقا حينذاك من الكاذبين رغم تتبعه لكل شيء بتدقيق.

والذي دعاه لذلك - كما يرى مفسر إنجيل لوقا جورج كيرد - : أنه أراد أن يشرك ملكاً آخر مع بيلاطس، ليحقق نبوءة المزمور الثاني، وفيه " قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معاً على الرب، وعلى مسيحه " (المزمور 2/2). وانفرد متى فذكر عجائب حصلت والمسيح على الصليب في اللحظة التي فارق فيها الحياة، فيقول: " وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين " (متى 27/51 - 53)، فهذه الأعاجيب ينفرد بها دون سائر الإنجيليين والمؤرخين ومنهم لوقا المتتبع بالتدقيق لكل شيء.

ولو صح مثل هذا لكان من أعظم أعاجيب المسيح، ولحرص الجميع على ذكره، لذا فهو إلى الكذب أقرب، يقول نورتن المسمى " حامى الإنجيل " : " هذه الحكاية كاذبة، والغالب أن أمثال هذه الحكاية كانت رائجة في اليهود، بعدما صارت أورشليم خراباً، فلعل أحداً كتب في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى، وأدخلها الكتاب في المتن، وهذا المتن وقع في يد المترجم، فترجمها على حسبه " .

وقد نقلت هذه الأخبار عن الأساطير القديمة، يقول المفسر كيرد: " كان الشائع قديماً أن الأحداث الكبيرة المفجعة يصحبها نذر سوء، وكان الطبيعة تواسي الإنسان بسبب تعاسته ".
ويقول المفسر نينهام: " لقد قيل: إن مثل تلك النذر لوجِظَتْ عند موت بعض الأحرار الكبار، وبعض الشخصيات العظيمة في العصور القديمة والوثنية، وخاصة عند موت يوليوس قيصر ".
ويقول المفسر جون فنتون مدافعاً عن تحريف متى إضافاته في القصة: " لقد كان قصد متى من هذه الأحداث الخرافية أن يبين أن موت يسوع كان عملاً من صنع الله ".
ومما يدل على كذب متى أو مترجمه في هذه الزيادة، أن لو ظهرت هذه العجائب لما جراً اليهود على الرجوع إلى بيلاطس، وطلب حراسة القبر، ولما تجاسر قيافا أن يصف المسيح وقتئذ بالمضل، ولانتقم منهم بيلاطس، بل وعامة اليهود، ولأمن كثيرون بالمسيح، كما أمن كثيرون في أعجوبة أقل من ذلك، إذ لما نزل روح القدس على التلاميذ، أمن ثلاثة آلاف شخص. (انظر أعمال 2/40 - 41)، وما ذكره متى عند موت المسيح أعظم من ذلك. ثم ماذا عن هؤلاء الأموات؟ هل عادوا بأكفانهم؛ أم حفاة عراة؟ ومع من تكلموا؟ هل كان خروجهم حزناً عليه أم نصرة له؛ أم فرحاً به؛
- وانفرد يوحنا بذكر وجوده إلى جوار المسيح، وأم المسيح معه وقت الصلب (يوحنا 19/25 - 26)، وأمر كهذا لا يتصور أن تغفله الأناجيل لو كان حقاً، كما لا يمكن تصور أن الجند يسمحون لذوي المسيح من الاقتراب منه وهو على الصليب، وهم الذين أنكر بطرس بين أيديهم معرفة المسيح ثلاث مرات، لخوفه من بطشهم.

النقد الضمني للرواية الإنجيلية

وعند التأمل في الروايات الإنجيلية في جزئيات كثيرة
اجتمع عليها الإنجيليون - أو بعضهم - نجد أن في
الروايات خللاً وحلقات مفقودة لا يمكن تجاوزها، علاوة
على ما في الروايات من تهافت في المعنى.
وفي كثير من هذه الملاحظات لا يمكن للنصارى
الخروج منها، إلا بالتسليم بأن المصلوب ليس المسيح، أو
بالتسليم بأن الروايات بشرية الوضع، غير محبوكة
الصنعة. ومنها:

- تتحدث الأناجيل عن دور يهوذا في خيانة المسيح بعد
أن رافق المسيح وهو من خاصته، فكيف حصل هذا التغير
المفاجيء؟

إن وقوع الانحراف بين البشر غير مستبعد، ولكن
الرواية الإنجيلية تجعل المسيح، وهو الذي أرسله الله
لهداية البشر، تجعله سبياً في غواية يهوذا. يقول يوحنا
على لسان المسيح: " الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه،
فغمس اللقمة، وأعطاه ليهوذا سمعان الإسخريوطي،
فبعد اللقمة دخله الشيطان، فقال له يسوع: ما أنت
تعمله، فاعمله بسرعة أكثر " (يوحنا 13/26 - 27)، فقد
جعل النص المسيح ولقمة التي دفعها ليهوذا سبياً في
ضلالة يهوذا وخيانتته.

ثم كيف لم يستطع يهوذا أن يخرج الشياطين من
نفسه، وهو أحد الذين قال لهم المسيح: " اشفوا مرضى،
طهروا برصاً، أقيموا موتى، أخرجوا شياطين " (متى
10/8).

وعلى الرغم من أهمية شخصية يهوذا فإن أحداً من
أصحاب الأناجيل - سوى متى - لم يذكر شيئاً عن موته،
وقد اختار له متى مئة سريعة سبقت حتى موت المسيح،
وكأنه بذلك أراد أن يتخلص من الشخصية الغريبة، والتي
اختفت منذ تلك الفترة. (انظر متى 27/3-7)، وقارن مع
(أعمال 1/18).

وتناقض الروايتين وسكوت بقية الأناجيل يرجع
لاختفاء يهوذا عن مسرح الأحداث في تلك الليلة التي
قبض عليه فيها بدل المسيح.

وهنا يطرح سؤال نفسه: كيف جهل رؤساء الكهنة
شخص المسيح حتى احتاجوا إلى من يدلهم عليه مقابل

ثلاثين من الفضة ؛ كيف ذلك وهو الذي كان في الهيكل يعلم كل يوم. (انظر: لوقا 22 / 52).

وتذكر الأناجيل أن المسيح في ليلة الصلب تضرع إلى الله يدعو أن يصرف عنه كأس الموت، فأين كان التلاميذ في تلك اللحظات العصيبة ؟ لقد كانوا مع المسيح في البستان، لكنهم كما وصفهم لوقا " ثم قام من الصلاة، وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن " (لوقا 22/45)، لكن المعهود في البشر أنهم إذا خافوا طار النوم وعز.

وهو ما يؤكد علماء النفس، ومرده فرز الغدة الكظرية لهرمون الأدرينالين في مجرى الدم، فيتعقب النوم ويطارده، إذا كيف نام هؤلاء من الخوف!؟

- ومن التنافر أيضاً ما جاء في مرقس أن المسيح جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً فقال: " ناموا الآن واستريحوا. يكفي. قد أتت الساعة. هوذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة، قوموا لنذهب، هوذا الذي يسلمني قد اقترب " (مرقس 14/41) فكيف يتوافق قوله: " ناموا الآن واستريحوا " مع قوله في تمام الجملة: " قوموا لنذهب "؟ وكيف يطلب الهرب وهو يعرف أنه سيؤخذ ويصلب؟

- ومن التنافر في الرواية أن إنجيل يوحنا يُظهر الحكم على المسيح، وكأنه حكم إلهي نزل علي رئيس الكهنة قيافا، وليس حكماً صادراً من مجمع للظلمة. يقول يوحنا: " فقال لهم واحد منهم. وهو قيافا كان رئيساً للكهنة في تلك السنة: أنتم لستم تعرفون شيئاً، ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب، ولا نُهلك الأمة كلها، ولم يقل هذا من نفسه، بل إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة تنبأ أن يسوع مزعم أن يموت عن الأمة، وليس عن الأمة فقط، بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد " (يوحنا 11/49 - 52).

فالنص يصف قيافا بالنبوة، وبأنه عرف بالنبوة أن المسيح يموت عن الشعب، فكيف يصح هذا؟ وهو الذي حكم ظلماً على المسيح بالموت، كيف وهو أحد الظلمة الذين قال لهم المسيح: " ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة " (لوقا 22/53).

كيف يأمر نبي بقتل نبي، فلو صحت نبوته لكان حكمه ردة، أو يكون قد حكم على غير المسيح.

وفي محاولة للتبرير قال يوحنا فم الذهب: " إن روح القدس حرك لسان قيافا، لا قلبه، على أن قيافا لم يخط ضد الإيمان، بل ضد العدل والتقوى ".
وما اللسان إلا ترجمان للقلب، وإذا كان روح القدس هو الذي حرك قيافا، فلم كان قيافا خاطئاً ضد العدل والتقوى.
وقد تعارض قيافا في فهمه لعموم الفداء وخصوصه، فهو يفهم أن موت المسيح فداء لبني إسرائيل، بينما يوحنا في رسالته الأولى يقول: " هو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً " (يوحنا 1 (2/2).

- وتذكر الأناجيل أن الجميع وقف ضد المسيح، وليس رؤساء الكهنة فحسب، بل حتى الجماهير كانت تنادي على بيلاطس وتقول: " اصلبه، اصلبه " وترفض إطلاقه، وتود إطلاق المجرم باراباس " كان بيلاطس يطلب أن يطلقه، ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين: إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر، كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر " (يوحنا 19/12)، ويقول مرقس: " فهيج رؤساء الكهنة الجمع لكي يطلق لهم بالحري باراباس. فصرخوا أيضاً: اصلبه... فازدادوا جداً صراخاً: اصلبه، فيبيلاطس إذن كان يريد أن يعمل للجمع ما يرضيهم " (مرقس 15/11 - 15).

فأين الجموع التي شفاها المسيح من البرص والعمى وغيره والتي تعد بالآلوف؟ أين أولئك الذين استقبلوه وهو يدخل أورشليم راكباً على الجحش والأتان معاً؟ أين أولئك " الجمع الأكثر فرشوا ثيابهم في الطريق، وآخرون قطعوا أغصاناً من الشجر، وفرشوها في الطريق، والجموع الذين تقدموا، والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين: أوصنا لابن داود... ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة: من هذا؟ " (متى 21/8 - 10)
أين ذهب هؤلاء؟ بل أين ذهب أصحاب المروءة والشهامة، وهم يرون المسيح يصفع ويضرب على غير ذنب أو جريرة؟

- ذكر مرقس قصة الرجل الذي هرب عرياناً فقال: " تبعه شاب لابساً إزاراً على عريه " (مرقس 14/52)، ويدل هذا على أن قصة الصلب حصلت في شهور الصيف،

ومما يؤيد ذلك أن الفصح عند اليهود - حيث حصلت حادثة الصلب - يكون في شهر نيسان.
 لكن يوحنا يذكر ما يفيد أن القصة حصلت في شهور الشتاء، فقد وقف بطرس يوم محاكمة المصلوب، يحتمي من البرد بالنار، يقول يوحنا: " وسمعان بطرس كان واقفاً يصطلي " (يوحنا 18/25)، فجمع الإنجيليون الصيف والشتاء في يوم واحد.
 - ثم إن بطرس - الذي يحتل في المسيحية مكاناً بارزاً، جعلت الأناجيل بيده مفاتيح السماوات والأرض - أنكر المسيح في تلك الليلة ثلاث مرات، وأضاف إلى الإنكار خلفاً ولعناً، لم تجرؤ أقلام الإنجيليين على بيان ذلك الذي لعنه بطرس، لكن لا يحتاج القارئ إلى كثير فطنة ليدرك أنه كان يلعن المقبوض عليه، ويبرأ منه ومن معرفته، فهل كان يلعن سيده المسيح أم المصلوب الخائن؟
 وهذا الحلف واللعن سقوط لا يتفق مع خصوصية بطرس الذي كان ينبغي أن يكون مثلاً للشباب والقوة، فقد قال له المسيح: " ولكني طلبت من أجلك، لكي لا يفنى إيمانك، وأنت متى رجعت، ثبت إخوانك " (لوقا 22/32).

كما أن الحلف منهي عنه عند النصارى، فكيف حلف بطرس، والمسيح قد علمهم: " لا تحلفوا البتة...، بل ليكن كلامكم: نعم نعم، لا لا، وما زاد على ذلك فهو شر " (متى 5/34 - 37).

وعليه فبطرس شرير، حلف كاذباً، والتوراة تقول: " .. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً " (الخروج 20/7)، و " لا تحلف باسمي للكذب، فتدنس اسم إلهك، أنا الرب " (اللاويين 19/12) وخروج بطرس عن هذه الأحكام يجعله ملعوناً " ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها " (التثنية 27/26).

ولا يمكن أن يصدر هذا الحلف واللعن من بطرس، فلا يمكن أن يهون عليه نبيه ومعلمه إلى هذا الحد، ولو فعل ذلك لما كان مستحقاً لاسم الإيمان، فضلاً عن المعجزات والخصائص المذكورة في حقه في الأناجيل، وعليه فإن بطرس كان صادقاً محققاً في حلفه ولعنه، إذ الملعون هو المصلوب، وهو ليس المسيح، بل غيره، وهو مستحق للإنكار واللعن.

- وتُظهر الأناجيل المسيح على الصليب غاية في الضعف والهوان، يستجديهم الماء وهو يرى شماتتهم، ثم يُسمعهم صراخه.... ولا يتطابق هذا مع ما عُرف عن شخصية المسيح القوية، والتي تحدى فيها اليهود بأنهم سيطلبونه ولا يجدونه. (انظر يوحنا 7/23)، أو المسيح الذي دخل الهيكل فطرد الصيارفة (انظر مرقس 11/15)، وصام أربعين يوماً قبل من غير أن يشكو جوعاً أو عطشاً. (انظر متى 4/2).

فلم كل هذا الجزع، وممن ؟ من المسيح الذي يدعون ألوهيته !! كيف يصدر هذا الخور منه وهو القائل لتلاميذه: " لا تضطرب قلوبكم، ولا ترهب، سمعتم أني قلت لكم: أنا أذهب ثم آتي إليكم، لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون، لأنني قلت: أمضي إلى الأب " (يوحنا 12/27 - 28).

- ويذكر الإنجيليون قيامه المسيح بعد الموت، وهذه أحد أكثر موضوعات الأناجيل إثارة، لما في رواياتها من تناقض وتنافر.

فلم ظهر المسيح لتلاميذه ولم يظهر لأعدائه؛ فهذا أظهر لحجته، وأدعى للإيمان به، كما نتساءل عن موقف الكهنة وقد علموا من الحراس بخروج المسيح من القبر، كيف سكتوا عن ذلك، إن الأناجيل لا تذكر أنهم حركوا ساكناً، وكان الأمر لا يعنيهم.

وأنبه هنا إلى أن إنكار قيامة المسيح قديم، فهاهم أهل باغوس يحدثهم بولس " ولما سمعوا بالقيامة من الأموات كان البعض يستهزئون، والبعض يقولون سنسمع منك عن هذا أيضاً " (أعمال 17/32)، بل ويمتد التكذيب بالقيامة إلى بعض المؤمنين بدعوة بولس من أهل كورنثوس، لذا يخاطبهم " ولكن إن كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات، فكيف يقول قوم بينكم: إن ليس قيامة أموات، فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا، وباطل أيضاً إيمانكم " (كورنثوس 1) (12/15-14)، فلو كان أمر قيامة المسيح معلوماً مشهوراً لما رفضها المؤمنون ولا استهزأ بخبرها المعاصرون.

ومما يدل على عدم صحة هذه القصة جهل تلاميذ المسيح بها " لأنهم لم يكونوا بعدُ يعرفون الكتاب، أنه ينبغي أن يقوم من الأموات " (يوحنا 20/9)، وعليه فإن

فكرة سرقة الجسد من القبر كان إشاعة قديمة لتبرير القيامة.

ومن الأدلة على كذب القيامة: وجود المسيح وظهوره، فوجوده دليل على أنه لم يمت، لأن التوراة تقول: " السحاب يضمحل ويزول، هكذا الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد " (أيوب 7/9)، ولو كان المسيح قد مات لا يرونه بعد لأنه قال: " لأنني ذاهب إلى أبي، ولا ترونني أيضاً " (يوحنا 16/1) ويؤكد هذا قوله: " الحق الحق أقول لكم: إنكم لا ترونني حتى يأتي وقت تقولون فيه: مبارك الآتي باسم الرب " (لوقا 13/5).

وهكذا ومن خلال هذا كله يتبين لنا أن الروايات الإنجيلية أقل بكثير من أن تصلح للاعتبار في مسألة مهمة كهذه، إذ هي عمل بشري ممتلئ بسائر أنواع الضعف البشري من خطأ وغلط واختلاق.

إبطال وقوع صلب المسيح بالدليل التاريخي

يدعي النصارى أن المسلمين بقولهم بنجاة المسيح من الصلب ينكرون حقيقة تاريخية أجمع عليها اليهود والنصارى الذين عاصروا صلب المسيح ومن بعدهم. فكيف لنبي الإسلام وأتباعه الذين جاءوا بعد ستة قرون من الحادثة أن ينكروا صلب المسيح؟! قد يبدو الاعتراض النصراني وجيهاً لأول وهلة، لكن عند التأمل في شهادة الشهود تبين لنا تناقضها وتفكك رواياتهم.

ولدى الرجوع إلى التاريخ والتنقيب في رواياته وأخباره عن حقيقة حادثة الصلب، ومَن المصلوب فيها؟ يتبين أمور مهمة:

- أن قدماء النصارى كثر منهم منكرو صلب المسيح، وقد ذكر المؤرخون النصارى أسماء فرق مسيحية كثيرة أنكرت الصلب.

وهذه الفرق هي: الباسيليديون والكورنثيون والكاربوكرايتون والساطرينوسية والماركيونية والبارديسيانية والسيرنثيون والبارسكاليونية والبولسية والمائيسية، والتايتانيسيون والدوسيتية والمارسيونية والغلنطانيائية والهرمسيون.

وبعض هذه الفرق قريبة العهد بالمسيح، إذ يرجع بعضها للقرن الميلادي الأول ففي كتابه "الأرطقات مع دحضها" ذكر القديس الفونسوس ماريا دي ليكوري أن من بدع القرن الأول قول فلوري: إن المسيح قوة غير هيولية، وكان يتشج ما شاء من الهيئات، ولذا لما أراد اليهود صلبه؛ أخذ صورة سمعان القروي، وأعطاه صورته، فصلب سمعان، بينما كان يسوع يسخر باليهود، ثم عاد غير منظور، وصعد إلى السماء.

ويبدو أن هذا القول استمر في القرن الثاني، حيث يقول المفسر جون فنتون شارح متى: "إن إحدى الطوائف الغنوسية التي عاشت في القرن الثاني قالت بأن سمعان القيرواني قد صلب بدلاً من يسوع".

وقد استمر إنكار صلب المسيح، فكان من المنكرين الراهب تيودورس (560م) والأسقف يوحنا ابن حاكم قبرص (610م) وغيرهم.

ولعل أهم هذه الفرق المنكرة لصلب المسيح الباسيليديون؛ الذين نقل عنهم سيوس في " عقيدة

المسلمين في بعض مسائل النصرانية " والمفسر جورج سايل القول بنجاة المسيح، وأن المصلوب هو سمعان القيرواني، وسماه بعضهم سيمون السيرناي، ولعل الاسمين لواحد، وهذه الفرقة كانت تقول أيضاً ببشرية المسيح.

ويقول باسيليوس الباسليدي: " إن نفس حادثة القيامة المدعى بها بعد الصلب الموهوم هي من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذات المسيح".

ولعل هؤلاء هم الذين عناهم جرجي زيدان حين قال: " الخياليون يقولون: إن المسيح لم يصلب، وإنما صلب رجل آخر مكانه".

ومن هذه الفرق التي قالت بصلب غير المسيح بدلاً عنه: الكورنثيون والكربوكراتيون والسيرنثيون. يقول جورج سايل: إن السيرنثيين والكربوكراتيين، وهما من أقدم فرق النصارى، قالوا: إن المسيح نفسه لم يصلب ولم يقتل، وإنما صلب واحد من تلاميذه، يشبهه شياً تاماً، وهناك الباسيليديون يعتقدون أن شخصاً آخر صلب بدلاً من المسيح.

وثمة فرق نصرانية قالت بأن المسيح نجا من الصلب، وأنه رفع إلى السماء، ومنهم الروسية والمرسيونية والغلطنائية. وهذه الفرق الثلاث تعتقد ألوهية المسيح، ويرون القول بصلب المسيح وإهانتة لا يلائم البتة والإلهية.

كما تناقل علماء النصارى ومحققوهم إنكار صلب المسيح في كتبهم، وأهم من قال بذلك الحوارى برنابا في إنجيله.

ويقول ارنست دي بوش الألماني في كتابه " الإسلام: أي النصرانية الحقبة " ما معناه: إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس، ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح، لا في أصول النصرانية الأصلية.

ويقول ملمن في كتابه " تاريخ الديانة النصرانية " : " إن تنفيذ الحكم كان وقت الغلس، وإسدال ثوب الظلام، فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا في سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم

إبطال صلب المسيح بنبوءات التوراة

تحتل النبوءات في الفكر المسيحي مكانة سامقة، جعلت بعض النصارى يشترطون لصحة النبوة أن يسبقها نبوءة.

وحادثة صلب المسيح - كما يعتبرها النصارى - أحد أهم أحداث المعمورة، فكان لابد وأن يتحدث عنها الأنبياء في أسفارهم، وأن يذكرها المسيح لتلاميذه. فهل أخبرت الأنبياء بصلب المسيح وقيامته؟ وهل أخبر المسيح تلاميذه بذلك؟

والإجابة النصرانية عن هذه التساؤلات كانت بالإيجاب، وأن ذلك في مواضع كثيرة من الأناجيل والرسائل والأسفار التوراتية.

ولعل من نافلة القول أن نذكر بأن النصارى يعتبرون أسفار التوراة جزءاً مقدساً كتابهم المقدس، كيف لا والأناجيل ما فتئت تحيل إلى هذه الأسفار، تستمد منها تنبؤاتها المستقبلية، التي تحققت في شخص المسيح في حياته أو حين صلبه .

وللأسفار التوراتية دور عظيم في قصة صلب المسيح، فقد أكثرت الأناجيل في هذه القصة من الإحالة إلى أسفار التوراة؛ التي يرونها تنبأً بالمسيح المصلوب، وكانت نصف هذه الإحالات إلى المزامير المنسوبة لداود وغيره، وقد ذكر عيسى عليه السلام لتلاميذه ضرورة أن تتحقق فيه النبوءات التوراتية بقوله: "لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير" (لوقا 26/44) وقد قال لهم: " فتشوا الكتب ... وهي التي تشهد لي " (يوحنا 5/39).

والنبوءات التي أحالت إليها الأناجيل بخصوص حادثة الصلب أربع عشرة نبوءة، ذكر متى منها ستاً، ومرقس أربعاً، ولوقا اثنتين، بينما ذكر منها يوحنا سبع نبوءات. ونخلص من هذا إلى أهمية النبوءات التوراتية المتعلقة بصلب المسيح.

ويبالغ النصارى في التركيز على أهمية النبوءات التوراتية المتحدثة والمشييرة للمسيح وكثرتها، فيقول القمص سرجيوس في كتابه " هل تنبأت التوراة عن المسيح " : " فالمسيح ساطع في كل الكتاب المقدس في إشراق دائم، وليس كالشمس التي تغيب عن نصف الأرض ليلاً، إذ ليس في التوراة أو كتب الأنبياء جزء تغرب

عنه شمس المسيح، بل يشع اسمه، وشخصه، وصفاته، وأعماله، وظروفه، وأحواله في التوراة، وكتب الأنبياء، وفي ثنايا سطورها نجد المسيح في كل جملة، وفي كل إصحاح، وفي كل سفر من أسفارها. وما حروفها وكلماتها إلا خطوطاً أو ظلالاً لصورة المسيح المجيدة ... فنحن المسيحيين لا نهتم أين نفتح التوراة وكتب الأنبياء لنجد الكلام عن المسيح.... "، ورغم ما في الكلام من مبالغة، فإننا - كما يقول المستشار منصور حسين في كتابه الفريد "دعوة الحق بين المسيحية والإسلام" - نستشف منه أهمية النصوص التوراتية في الدلالة على المسيح.

ولسفر المزامير وموضوع الصلب شأن خاص، يصفه سرجيوس فيقول: " أما سفر المزامير فكان الهالة، التي أحاطت بكوكب يسوع، فتكلم حتى عن إحساساته العميقة، وألامه المبرحة ناهيك عن صفاته وألقابه، أكثر من أي نبي آخر، ويمكننا القول، أن سفر المزامير هو سفر "مسيحياً" الخاص، بدليل أن الاقتباسات التي اقتبسها كتبة العهد القديم من سفر المزامير هذا بلغت نصف الاقتباسات المأخوذة من العهد القديم كله ."

ويؤكد عبد الفادي القاهراني أهمية المزامير في كتابه " رب المجد " بقوله: " لم يوجد كتاب مليء بالإشارات والرموز والنبوءات عن المسيح أكثر من كتاب المزامير هذا، وعليه فأهميته في نظر اللاهوتيين تفوق الوصف ". لذلك فإن العلماء المسلمين ارتضوا محاكمة النصارى في هذه المسألة إلى أسفار التوراة، ذلك بأنه ليس من المقبول أن يتصور أحد أن اليهود يغيرون كتبهم لتتمشى مع معتقدات النصارى، لذا فهم يرتضون هذه الكتب معياراً للكشف عن الحقيقة.

وقبل أن نشرع، فإنه يحسن التنبيه إلى نقاط الاختلاف والاتفاق بين المسلمين والنصارى في مسألة الصلب. النصارى يقولون بصلب المسيح، بينما يقول المسلمون بأنه لم يصلب، وأنه قد شُبه غير المسيح به، ولا ينفون وقوع صلب لغيره.

وقد أنبا الله المسيح بتعرضه للبلاء والامتحان وأن أحد تلاميذه سيسلمه لأعدائه " ولما كان المساء اتكأ مع الاثني عشر، وفيما هم يأكلون قال: الحق أقول لكم: إن واحداً منكم يسلمني، فحزنوا جداً، وابتدأ كل واحد منهم يقول

له: هل أنا هو يا رب؟ فأجاب وقال: الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلمني، إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه، ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد" (متى 26/20-24).

وقد تألم المسيح لذلك الخبر وارتاع، فقام يطلب من الله ويدعوه أن يصرف هذه المؤامرة عنه، دعا الله بلجاجة وحرارة أن ينجيه منها، ويصور لنا متى حال المسيح وشدة ضراسته لله، فيقول: "جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جثسيماني، فقال للتلاميذ: اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك، ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي، وابتدأ يحزن ويكتئب، فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا ههنا واسهروا معي، ثم تقدم قليلاً وخرّ على وجهه، وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت، ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً.. فمضى أيضاً ثانية، وصلى قائلاً: يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس، إلا إن أشربها، فلتكن مشيئتك، ثم جاء فوجدهم أيضاً نياماً، إذ كانت أعينهم ثقيلة، فتركهم، ومضى أيضاً، وصلى ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه" (متى 26/36-40).

ويصف لوقا المشهد، فيقول: "وإذ كان في جهاد؛ كان يصلي بأشد لاجاة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض" (لوقا 22/44).

فالمسلمون مصدقون بهذا الدعاء الطويل، إذ هو حال الصالحين جميعاً حين يتعرضون للأهوال والشدائد، فلا يجدون ناصراً يلجؤون إليه إلا الله العظيم.

وقد أجاب الله دعاء عبده المسيح فصرف عنه كأس الموت، كما قال بولس: "الذي في أيام جسده، إذ قدّم بصراخ شديد ودموع طلباتٍ وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت، وسُمع له من أجل تقواه" (عبرانيين 5/7)، فقد سمع الله لعبده المسيح وأجابته في سؤاله "وأنا علمتُ أنك في كل حين تسمع لي" (يوحنا 11/40).

وهكذا فالمسلمون لا ينفون جملة ما ترويه الأناجيل من وقوع تلك الأحداث التي صاحبت الصلب أو سبخته، كإخبار المسيح تلاميذه عن المؤامرة التي سيتعرض لها، ثم لجوؤه في البستان إلى الله القادر طالباً من الله أن ينجيه من الموت، وكذا فالمسلمون يصدقون بأن الجموع

الصلب؟
 "فإنما نحن نؤمن أن المسيح قد مات على الصليب، وأننا نؤمن أن المسيح قد قام من بين الأموات، وأننا نؤمن أن المسيح سيأتي ثانية ليدين الأحياء والأموات، وأننا نؤمن أن المسيح سيملك إلى الأبد." (1 كورنثوس 15: 20-28)

فإنما نحن نؤمن أن المسيح قد مات على الصليب، وأننا نؤمن أن المسيح قد قام من بين الأموات، وأننا نؤمن أن المسيح سيأتي ثانية ليدين الأحياء والأموات، وأننا نؤمن أن المسيح سيملك إلى الأبد.

أولاً: المزمور الثاني

وفيه: " لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب في الباطل، قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معاً على الرب، وعلى مسيحه، قائلين: لنقطع قيودها ولنطرح عنا رُبُطهما.

الساكن في السماوات يضحك، الرب يستهزئ بهم، حينئذ يتكلم عليهم بغضبه، ويرجفهم بغيظه " (المزمور 2/1 - 5).

والمزمور يراه العلماء النصارى نبوءة بالمسيح الموعود. يقول د. هاني رزق في كتابه " يسوع المسيح ناسوته وألوهيته " عن هذا المزمور: " وقد تحققت هذه النبوءة في أحداث العهد الجديد، إن هذه النبوءة تشير إلى تأمر وقيام ملوك ورؤساء الشعب على يسوع المسيح لقتله وقطعه من الشعب، وهذا ما تحقق في أحداث العهد الجديد في فترتين، في زمان وجود يسوع المسيح له المجد في العالم " ويقصد تأمر هيرودس في طفولة المسيح، ثم تأمر رؤساء الكهنة لصلب المسيح. ووافقه "فخري عطية" في كتابه "دراسات في سفر المزامير" و"حبيب سعيد" في "من وحي القيثارة" وويغل ل كوبر في كتابه "مسيا عمله القدائي" وياسين منصور في "الصليب في جميع الأديان"، فيرى هؤلاء جميعاً أن المزمور نبوءة بالمسيح المصلوب. وقولهم بأن النص نبوءة بالمسيح تصديق لما ورد في سفر أعمال الرسل: " فلما سمعوا رفعوا بنفس واحدة صوتاً إلى الله وقالوا: أيها السيد، أنت هو الإله صانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. القائل بغم داود فتاك: لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل. قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه. لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس الذي مسحته هيرودس وببلاطس البنطي مع أمم وشعوب إسرائيل، ليفعلوا كل ما سبقت فعينت يدك ومشورتك أن يكون " (أعمال 4/24-31).

ولا ترى مانعاً في موافقتهم بأن المزمور نبوءة عن المسيح، فالمزمور يتحدث عن مؤامرات اليهود عليه، وهذا لا خلاف عليه بين المسلمين والنصارى، وإنما الخلاف: هل نجحوا أم لا؟ فيماذا يجب النص؟ يجب بأن الله ضحك منهم واستهزأ بهم، وأنه حينئذ، أي في تلك اللحظة أرفج المتأمرين بغيظه وغضبه. فهل يكون ذلك لنجاحهم في صلب المسيح، أم لنجاته من بين أيديهم، ووقوعهم في شر أعمالهم؟ ويفسر المزمور السابع والثلاثون سبب ضحك الرب واستهزائه، فيقول: "الشرير يتفكر ضد الصديق، ويحرق عليه أسنانه، الرب يضحك به، لأنه رأى أن يومه أت، الأشرار قد سلّوا السيف، ومدوا قوسهم لرمي المسكين والفقير، لقتل المستقيم طريقهم، سيفهم يدخل في قلبهم، وقسيهم تنكسر" (المزمور 12/37-15)، لقد ضحك لفشل المؤامرة، وعودها على أصحابها، فقد وقعوا في الحفرة التي حفروها للمسيح الذي نجاه الله بقوته.

ثانياً: المزمور السابع

وفيه: " يا رب، إلهي عليك توكلت، خلصني من كل الذين يطردونني، ونجني لئلا يفترس كأسد نفسي، هاشماً إياها، ولا منقذ.

يا رب، إلهي، إن كنت قد فعلت هذا، إن وجد ظلم في يدي، إن كافات مسالمي شراً، وسلبت مضايقي بلا سبب، فليطارد عدو نفسي، وليدركها، وليدس إلى الأرض حياتي، وليحط إلى التراب مجدي، سلاه.

قم يا رب بغضبك، ارتفع على سخط مضايقي، وانتبه لي. بالحق أوحيت، ومجمع القبائل يحيط بك، فعد فوقها إلى العلا، الرب يدين الشعوب، اقض لي يا رب كحقي، ومثل كمالي الذي في، لينته شر الأشرار، وثبت الصديق، فإن فاحص القلوب والكلى: الله البار، ترسي عند الله مخلص مستقيمي القلوب.

الله قاض عادل، وإله يسخط كل يوم، إن لم يرجع يحدد سيفه: مد قوسه وهياها، وسدد نحوه آلة الموت، يجعل سهامه ملتبهة.

هو ذا يمخض بالإثم، حمل تعباً، وولد كذباً، كرى جُباً حفره، فسقط في الهوة التي صنع، يرجع تعبته على

رأسه، وعلى هامته يهبط ظلمه. أحمد الرب حسب بره، وأرثم لاسم الرب العلي" (المزمور 17-7/1) .

جاء في كتاب " دراسات في المزامير " لفخري عطية: " واضح أنه من مزامير البقية، إذ يشير إلي زمن ضد المسيح، وفيه نسمع صوت البقية، ومرة أخرى نجد روح المسيح ينطق على فم داود بالأقوال التي تعبر عن مشاعر تلك البقية المتألّمة، في أيام الضيق العظيمة " .

والربط واضح وبيّن بين دعاء المزمور المستقبلي " يا رب، إلهي، عليك توكلت، خلصني من كل الذين يطردونني ونجّني.... " وبين دعاء المسيح ليلة أن جاءوا للقبض عليه "إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس " .

ثم يطلب الداعي من الله عوناً؛ أن يرفعه إلى فوق، في لحظة ضيقه " فعد فوقها إلى العلا "، ويشير إلى حصول ذلك في لحظة الإحاطة به " ومجمع القبائل - يحيط بك، فعد فوقها إلى العلا " .

ثم يذكر المزمور بأن الله " قاض عادل " فهل من العدل أن يصلب المسيح أم يهودا ؟

ثم يدعو الله أن يثبت الصديق، وأن ينتهي شر الأشرار، ويؤكد لجوءه إلى الله، مخلص القلوب المستقيمة .

ثم يتحدث المزمور عن خيانة يهودا. وقد جاء " مد قوسه وهياها، وسدد نحوه آلة الموت " (القُبلة الآثمة) " ويجعل سهامه ملتبهة " .

ولكن حصل أمر عظيم، لقد انقلب السحر على الساحر، " هو ذا يمخض بالإثم، حمل تعباً، وولد كذباً، كَرَى جُبّاً، حفره فسقط في الهوة التي صنع، يرجع تعبه على رأسه، وعلى هامته يهبط ظلمه " لقد ذاق يهودا ما كان حفره لسيدة المسيح، ونجا المسيح في مجمع القبائل إلى العلا.

لقد تحقق فيه قانون الله في الخائنين " من يحفر حفرة يسقط فيها، ومن يدحرج حجراً يرجع عليه " (الأمثال 26/27)، وفي موضع آخر " الشرير تأخذه آثامه، وبحبال خطيته يمسك، إنه يموت من عدم الأدب، وبفرط حمقه يتهور " (الأمثال 23-5/22)، وفي سفر الجامعة " من يحفر هوة يقع فيها، ومن ينقض جداراً تلدغه حية " (الجامعة 10/8) .

وهذا ما أسفر عنه المزمور التاسع بوضوح حين قال: " لأنك أقمت حقي ودعواي، جلست على الكرسي قاضياً

عادلاً، انتهرت الأمم، أهلكت الشرير.. تورطت الأمم في الحفرة التي عملوها، في الشبكة التي أخفوها انتشبت أرجلهم، معروف هو الرب قضاءً أمضى: الشرير يعلق بعمل يده " (المزمور 9/4 - 16)، فهل تراه علق يهوذا بشرّ يديه أم نجا من قانون الله وقضائه، وأفلت من الشبكة التي نصبها للمسيح؟

ثم ينتهي المزمور بحمد الله على هذه العاقبة " أحمد الرب حسب بره، وأرغم لاسم الرب العلي " وهكذا نرى في هذا المزمور صورة واضحة لما حصل في ذلك اليوم، حيث نجى الله عز وجل نبيه، وأهلك يهوذا.

ولا مخرج للنصارى إزاء هذا النص إلا إنكاره، أو التسليم له، والقول بأن المسيح له ظلم، وله إثم، وأنه ذاق ما كان يستحقه، وأن الله عادل؛ بقضائه قتل المسيح، وأن ذلك أعدل وأفضل من القول بنجاته؛ وصلب يهوذا الظالم الأثم، جزاءً لفعله وخيانتة، وإلا فعليهم الرجوع إلى معتقد المسلمين؛ بأن النص نبوءة عن يهوذا الخائن، ولا رابع لهذه الخيارات الثلاثة.

ثالثاً: المزمور العشرون

وفيه: " ليستجب لك الرب في يوم الضيق. ليرفعك اسم إله يعقوب، ليرسل لك عوناً من قدسه، ومن صهيون ليعضدك، ليذكر كل تقدماتك، وليستسمن محرقاتك، سلاه، ليعطك حسب قلبك، ويتمم كل رأيك، نترنم بخلاصك، وباسم إلهنا نرفع رايتنا، ليكمل الرب كل سؤالك.

الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه، بجبروت خلاص يمينه، هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل، أما نحن: فاسم الرب إلهنا نذكره. هم جثوا وسقطوا، أما نحن: فقمنا وانتصنا، يارب: خلص، ليستجيب لنا الملك في يوم دعائنا " (المزمور 20/1 - 9).

يقول هاني رزق في كتابه " يسوع المسيح في ناسوته ولاهوته " : " تنبأ داود النبي (1056 ق.م)، و(حقوق النبي 726 ق. م)، بأن الرب هو المسيح المخلص، نبوءة داود النبي، مزمور 20/9 " الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه..... "

وفي كتاب " دراسات في سفر المزامير " يؤكد فخري عطية " هذا، ويقول عن الفقرة التاسعة من هذا المزمور " في هذا العدد تعبير يشير في الكتب النبوية إلى ربنا يسوع المسيح نفسه، تعبير يستخدمه الشعب الأرضي عن المخلص العتيد " .

ولكن القراءة المتأنية لهذا المزمور ترينا أنه ثمة متحدث يدعو الله طالباً أن يستجيب لوليه الضعيف، داود يدعو الله أن ينجي المسيح، وأن يرفعه للسماء لما صنع من بر وخير، ويبتهل صاحب المزمور طالباً النجاة له في يوم الضيق، وليس من يوم مرَّ على المسيح أضيّق من ذلك اليوم الذي دعا فيه طويلاً، طالباً من الله أن يصرف عنه هذا الكأس " وإذ كان في جهاد؛ كان يصلي بأشد حاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض " (لوقا 22/44) .

ويطلب داود من الله إجابة دعاء المسكين وإعطاءه ملتمس شفثيه وسؤله وكل مراده " ليعطك حسب قلبك، ويتم كل رأيك... ليكمل الرب كل سؤالك " .
وهذا العون والنجاء يطلبه له داود لما سبق وتقدم به المسيح من أعمال صالحة " ليذكر كل تقدماتك، وليستسمن محرقاتك " .

وينص المزمور على اسم المسيح، وأن الله خلصه من الموت في فقرة ظاهرة لا تخفى حتى على الأعمى، فقد عرف داود نتيجة دعائه " الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص " ، فالمزمور يذكر المسيح بالاسم، ويتحدث عن خلاصه، أن الله رفعه، وأنه أرسل له ملائكة يحفظونه " ليرفعك اسم إله يعقوب، ليرسل لك عوناً من قدسه " .
ويبتهج المزمور لهذه النهاية السعيدة " نترنم بخلاصك، وباسم إلهنا نرفع رايتنا " .

ويتحدث المزمور أيضاً عن تلك اللحظة العظيمة، لحظة الخلاص التي نجا فيها المسيح " هم جثوا وسقطوا، أما نحن فقمنا وانتصبنا " ، فهو يتحدث عن لحظة وقوع الجند كما في يوحنا " فلما قال لهم: إني أنا هو؛ رجعوا إلى الوراء، وسقطوا على الأرض " (يوحنا 6/18) .

وهذه اللحظة العظيمة، لحظة الخلاص يسجلها أيضاً المزمور التاسع، فهي إحدى آيات الله وأعاجيبه في خلقه، " أحمد الرب بكل قلبي، أحدث بجميع عجائبك، افرح

وابتهج بك، أرنم لاسمك أيها العلي، عند رجوع أعدائي إلى خلف يسقطون، ويهلكون من قدام وجهك، لأنك أقمت حقي ودعواي، جلست على الكرسي قاضياً عادلاً، انتهرت الأمم، أهلكت الشرير، محوت اسمهم إلى الدهر والأبد" (المزمور 5-9/1).

فالقاضي العادل أهلك الشرير، عندما رجع المبطلون إلى خلف وسقطوا، لتتحقق الأعجوبة وينجو العبد البار، فيحمد الله لأنه " رافعي من أبواب الموت " (المزمور 9/13)، لقد انتشله من فم الموت، ونجاه.

كما سجل المزمور السابع والعشرون هذه اللحظة العظيمة فقال: " عندما اقترب إليّ الأشرار ليأكلوا لحمي، مضايقي وأعدائي عثروا وسقطوا ... لأنه يخبئني في مظلمته في يوم الشر، يسترني بستر خيمته " (المزمور 5-27/2).

فدلالة هذا المزمور على نجات المسيح أوضح من الشمس في رابعة النهار.

رابعاً: المزمور الحادي والعشرون وفيه: " يا رب، بقوتك يفرح الملك، وبخلاصك، كيف لا يبتهج جداً؟

شهوة قلبه أعطيته، وملتمس شفتيه لم تمنعه، سلاه. لأنك تتقدمه ببركات خير، وضعت على رأسه تاجاً من إبريز حياة، سألك فأعطيته، طول الأيام إلى الدهر والأبد عظيم، مجده بخلاصك، جلالاً وبهاء تضع عليه، لأنك جعلته بركات إلى الأبد، تفرحه ابتهاجاً أمامك، لأن الملك يتوكل على الرب، وينعمة العلي لا يتزعزع.

تصيب يدك جميع أعدائك، يمينك تصيب كل مبغضيك، تجعلهم مثل تنور نار في زمان حضورك، الرب بسخطه يبتلعهم، وتأكلهم النار، تبيد ثمرهم من الأرض، وذريتهم من بين بني آدم، لأنهم نصبوا عليك شراً، تفكروا بمكيدة لم يستطيعوها، لأنك تجعلهم يقولون: تفوق السهم على أوتارك تلقاء وجوههم، ارتفع يا رب بقوتك، تُرنم وتُنعم بجبروتك " (المزمور 21/1 - 3) .

يقول فخري عطية في كتابه "دراسات في سفر المزامير": " إن المسيح هو المقصود بهذا المزمور " ووافقه كتاب " تأملات في المزامير " لآباء الكنيسة الصادر عن كنيسة مار جرجس باسبورتنج.

وقولهم صحيح، فقد حكى المزمور العشرون عن دعاء المسيح وعن استجابة الله له، ويحكي هذا المزمور (الواحد والعشرون) عن فرحه بهذه الاستجابة " يا رب بقوتك يفرح الملك، وبخلاصك كيف لا يبتهج جداً... تُرنم وننعم بجبروتك " .

وينص المزمور أن الله أعطاه ما سأله وتمناه " شهوة قلبه أعطيته، وملتمس شفثيه لم تمنعه... سألك فأعطيته "، وقد كان المسيح يطلب من الله بشفثيه النجاة من المؤامرة " إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس " (متى 26/39)، لقد كان يخاف الموت، ويطلب من الله أن يصرفه عنه، وقد استجاب الله له، كما شهد بولس، وهو يقول عن المسيح: "الذي في أيام جسده، إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلباتٍ وتضرعاتٍ للقادر أن يخلصه من الموت، وسُمع له من أجل تقواه" (عبرانيين 5/7)، لقد كان المسيح متيقناً من استجابة الله له، فإله لا يردّه أبداً " وقال: أيها الأب أشكرك، لأنك سمعت لي، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي " (يوحنا 11/40) فقد سمع الله له وأجاب دعاءه.

ويذكر المزمور أن الله أعطاه حياة جديدة طويلة إلى قبل قيام الساعة " حياةً سألك فأعطيته، طول الأيام، إلى الدهر، والأبد"، كما وضع عليه إكليل حياة، وهو غير إكليل الشوك الذي وضع على المصلوب، يقول المزمور: " وضعت على رأسه تاجاً من إبريز حياة " .

ويحكي المزمور عن أعداء المسيح الذين تأمروا عليه وفكروا في " مكيدة لم يستطيعوها " فهم لم يلحقوا الأذى به، فقد فشلت المؤامرة، لأنه رُفع " ارتفع يا رب بقوتك " .

وأما هؤلاء الأعداء: فترجع مكيدتهم عليهم " تصيب يدك جميع أعدائك، يمينك تصيب كل مبغضيك.. الرب بسخطه يبتلعهم، وتأكلهم النار، تبيد ثمرهم من الأرض، وذريتهم من بين بني آدم.. تفوق سهام على أوتارك تلقاء وجوههم "، فهل يقول أحد بعد ذا كله بأن المصلوب هو المسيح.

خامساً: المزمور الثاني والعشرون
وفيه: " إلهي إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي؟
عن كلام زفيرى؟ إلهي في النهار أدعو فلا تستجيب، في

الليل أدعو فلا هدو لي، وأنت القدوس الجالس بين
تسبيحات إسرائيل، عليك اتكل أبؤنا، اتكلوا فنجيتهم،
إليك صرخوا فنجوا، عليك اتكلوا فلم يخرؤا.
أما أنا فدودة لا إنسان، عار عند البشر، ومحتقر
الشعب، كل الذين يرونني يستهزئون بي، يغفرون
الشفاه، ويُغضون الرأس قائلين: اتكل على الرب
فلينجه.

لينقذه، لأنه سُرَّ به، لأنك أنت جذبتني من البطن،
جعلتني مطمئناً على ثديي أمي، عليك ألقيت من الرحم،
من بطن أمي، أنت إلهي، لا تتباعد عني لأن الضيق قريب،
لأنه لا معين، أحاطت بي ثيران كثيرة، أقوياء باشان
اكتنفتني، فغروا على أفواههم، كأسد مفترس مزمر،
كالماء انسكب،

انفصلت كل عظامي، صار قلبي كالشمع، قد ذاب في
وسط أمعائي، يبست مثل شقفة قوتي، ولصق لساني
بحنكي، وإلى تراب الموت تضعني، لأنه قد أحاطت بي
كلاب، جماعة من الأشرار اكتنفتني، ثقبوا يدي ورجلي،
أحصى كل عظامي، وهم ينظرون ويتفرسون في،
يقسمون ثيابي بينهم، وعلى لباسي يقترعون " (المزمور
18-22/1).

ويُجمع النصارى على أن هذا المزمور بنوءة عن
المسيح، فقد أحالت عليه الأناجيل يقول متى: " ولما
صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها، لكي يتم ما قيل
بالنبي: اقتسموا ثيابي بينهم، وعلى لباسي ألقوا قرعة "
(متى 27/35) ومثله في (يوحنا 19/24)، والإحالة إلى
هذا المزمور في قوله: " يقسمون ثيابي بينهم، وعلى
لباسي يقترعون " .

كما أن الرواية التي في المزمور توافق رواية الصلب
في صراخ المصلوب: " إلهي إلهي لماذا تركتني " (متى
27/46)، (مرقس 15/34) .

ويوافق نص المزمور ما جاء في الأناجيل في بيان حال
المصلوب " كان المجتازون يجدفون عليه، وهم يهزون
رؤوسهم قائلين: يا ناقص الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام،
خلص نفسك، إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب، قد
اتكل على الله فلينقذه الآن إن أرادته " (متى 27/39 -
43) . فهذا يشبه ما جاء في هذا المزمور " محتقر

الشعب، كل الذين يرونني يستهزئون بي.. وينغضون الرأس قائلين: اتكل على الرب، فلينجح".
كما يوافق النص الأناجيل كَرَّةً أُخْرَى في قوله: " جماعة من الأشرار اكتنفتني، ثقبوا يدي ورجلي، أحصي على عظامي "، فهي تدل على أخذ المصلوب يوم سُمرت يده ورجلاه على الصليب.

لهذا كله كان إجماع النصارى على أن هذا المزمور نبوءة عن حادثة الصليب، خاصة أن داود لم يمت مصلوباً، فهو إذن يتحدث عن غيره.

والحق أن المزمور نبوءة عن المصلوب، لكنه ليس عيسى، بل عن الخائن يهوذا الأسخريوطي، فنراه وهو جزع، يائس، يصرخ: " إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟"، المزمور نبوءة عن المصلوب اليائس الذي يدعو فلا يستجاب له "إلهي، في النهار أدعو فلا تستجيب، في الليل أدعو فلا هُدُوْ لي.. عليك اتكل أباًؤنا فنجيتهم، عليك صرخوا فنجوا، عليك اتكلوا فلم يخزوا. أما أنا فدودة لا إنسان...".

ويصف المزمور المصلوب بأنه " دودة لا إنسان، عارٌ عند البشر، محتقَرُ الشعب " فَمَنْ هو هذا اليائس الموصوف بأنه دودة، وأنه عار عند البشر، وأنه محتقر، وأنه لا يستجاب له؟

إنه يهوذا، حيث جعلته خسته وخيانته كالدودة، وأصبح عاراً على البشر، كلُّ البشر، المسلمين واليهود والنصارى، بل وحتى البوذيين وغيرهم، لأنه خائن، والخيانة خسة وعار عند كل أحد، يحتقره الشعب، ولا يستجيب الله دعاءه.

والعجب لمن يصر على أن النبوءة عن المسيح، إذ كيف يوصف المسيح بالعار، وهو مجد وفخر للبشر؛ بل العار هو يهوذا، ونلاحظ أن النص يصفه بالعار ليس فقط عند جلاديه وأعدائه، بل عند البشر جميعاً، في كل أجيالهم، وجميع مللهم، ولا يمكن أن يكون المسيح كذلك، بل تفخر البشرية أن فيها مثل هذا الرجل العظيم الذي اصطفاه الله برسالته ووجيه.

كما نلاحظ أن كلمة " عار " تلحق بالشخص نفسه، لا الصليب الواقع عليه، فهو العار، وهو الدودة، وحاشا للمسيح العظيم أن يكون دودة أو عاراً، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

لقد مجد الله المسيح فلم يكن عاراً، بل كان فخراً
وعزاً، وإن تاهت عنه عيون البعض، فرأوا مجده عاراً،
ونجاته خزيًا، لقد غفلوا عن النبوءة القائلة: "استجب لي
يا إله بّري، في الضيق رحبت لي، تراءف عليّ واسمع
صلاتي، يا بني البشر، حتى متى يكون مجدي عاراً؟ حتى
متى تحبون الباطل، وتبتغون الكذب؟ سلاه، فاعلموا أن
الرب قد ميّز تقيّه، الرب يسمع عندما أدعوه" (المزمور
1/4-3)، فخلاصه عليه السلام هو المجد الذي لم يؤمن به
النصارى، واعتبروه عليه السلام لعنة وعاراً، لكنه كذب
وباطل، فقد سمع الله دعاء تقيّه ومسيحه.
كما لا يقبل بحال أن يوصف المسيح بأنه دودة، والعجب
من أولئك الذين يدعون ألوهيته كيف يستسيغون تسميته
بدودة، بل الدودة هو الخائن الحقير يهوذا.
وأما وصف المصلوب بأنه "محتقر الشعب" فهو وصف
ينطبق على المصلوب، وكلمة "الشعب" تشير إلى اليهود
وأولئك الذين حضروا الصليب، وكانوا يحتقرون المصلوب.

سادساً: المزمور التاسع والستون
وهذا المزمور نبوءة أخرى تتناول حادثة الصليب، وهو
نبوءة متحدثة عن المصلوب، فقد اقتبس منه كتاب
الأناجيل، ورأوا فيه نبوءة عن المصلوب، تحققت - حسب
رأيهم - في المسيح حين صلب، يقول يوحنا: "وكان إناء
موضوعاً مملوءاً خلاً، فملاًوا إسفنجة من الخل، ووضعوها
علي زوفا، وقدموها إلى فمه، فلما أخذ يسوع الخل قال:
قد أكمل" (يوحنا 19/29-30)، أي كملت النبوءات
والكتب، ومقصده ما جاء في الفقرة الحادية والعشرين
من هذا المزمور، وفيها: "ويجعلون في طعامي علقماً،
وفي عطشي يسقونني خلاً"، فالمزمور نبوءة عن
المصلوب بشهادة يوحنا، فمن تراه يكون المصلوب:
المسيح البار أم يهوذا الخائن؟

السفر وحده كفيل بالإجابة عن السؤال، وفيه يهتف
المصلوب ويصرخ بيأس يرجو رحمة الله الذي لم يستجب
له، فيقول: "خلصني يا الله، لأن المياه قد دخلت إلى
نفسي، غرقت في حماة عميقة وليس مقر، دخلت إلى
أعماق المياه، والسيل غمرني، تعبت من صراخي، يبس
حلقي، كلت عيناى من انتظار إلهي، أكثر من شعر رأسي

الذين يبغضونني بلا سبب، اعترّ مستهلكي أعدائي
ظلماً، حينئذ رددت الذي لم أخطفه....".
ويذكرنا المزمور بصراخ المصلوب اليائس "إلهي إلهي
لماذا تركتني"، وقد يبس حلقه، وكلت عيناه، وما من
مجيب، ويعجب المصلوب لحال أولئك الذين أبغضوه
وعلقوه بلا سبب، فقد جاء ليدلهم على المسيح، فإذا به
يؤخذ بدلاً عنه، من غير أن يصنع سبباً واحداً يستحق
بغضهم له وصلبهم إياه.

لكنه يعلم أن سبب ما حاق به هو حماقته وذنوبه
والعار، عار الخيانة الذي غطاه، فيقول: " يا الله أنت
عرفت حماقتي، وذنوبي عنك لم تخف، غطى الخجل
وجهي، صرت أجنبياً عند إخوتي، وغريباً عند بني أُمي،...
أنت عرفت عاري وخزيي وخجلي، قدامك جميع مضايقي،
العار قد كسر قلبي فمرضت، انتظرت رقة فلم تكن،
ومعزين فلم أجد، ويجعلون في طعامي علقماً، وفي
عطشي يسقونني خلاً" (المزمور 69/5 - 21)، فمن هو
صاحب الحماقة والذنوب والعار والخزي والخجل، من هو
ذاك الذي كسر العار قلبه، إنه ذاك الذي سقوه الخل وهو
على الصليب، هل يعقل أن نقول: إنه المسيح؟ لا، إنه
يهودا الخائن.

لكنه لا يياس فيواصل الصراخ والاستجداء طالباً من
الله الخلاص، مستعيناً فقط برحمة الله التي تسع كل
شيء، ولكن بلا فائدة "لأن غيرة بيتك أكلتني، وتعبيرات
معيريك وقعت عليّ، وأبكيت بصوم نفسي، فصار ذلك
عاراً عليّ، جعلت لباسي مسحاً، وصرت لهم مثلاً، يتكلم
فيّ، الجالسون في الباب وأغاني شرّابي المسكر، أما أنا
فلك صلاتي يا رب في وقت رضا، يا الله بكثرة رحمتك
استجب لي بحق خلاصك، نجني من الطين، فلا أغرق
نجني من مبغضني، ومن أعماق المياه، لا يغمرنني سيل
المياه، ولا يبتلعني العمق، ولا تطبق الهاوية عليّ فاهاً،
استجب لي يا رب، لأن رحمتك صالحة، ككثرة مراحمك
التفت إليّ، ولا تحجب وجهك عن عبدك، لأن لي ضيقاً،
استجب لي سريعاً، اقترب إلى نفسي، فكها، بسبب
أعدائي اfdني" (المزمور 69 / 9-18).

وتأتيه نتيجة دعائه وخيائته، إذ يقول السفر: "لتصر
مائدتهم قدامهم فخاً، وللأمين شركاً، لتظلم عيونهم عن
البصر، وقلقل متونهم دائماً، صبّ عليهم سخطك،

وليدركهم حمو غضبك، لتصر دارهم خراباً، وفي خيامهم لا يكن ساكن، لأن الذي ضربته أنت هم طردوه، وبوجع الذين جرحتهم يتحدثون، اجعل إثماً على إثمهم، ولا يدخلوا في برِّك، ليمحوا من سفر الأحياء، ومع الصديقين لا يكتبوا" (المزمور 22/69-28).

فمن تراه يكون هذا الهالك الذي صارت مائدته فخاً وشركاً للآمنين، لكن عميت عيونهم عن البصر، فلم تبصر الصديق، وهو ينجو، لقد باء الخائن بالإثم، وأصبحت داره خراباً، ومحي اسمه من سفر الأحياء، فمات ولم يستجب له، كما حذف من قائمة الصديقين، فكتب مع الأشرار الهالكين، فمن تراه يكون؟ إنه يستحيل أن يكون هو المسيح.

ثم يعود المزمور ليحدثنا عن المسيح الذي نجاه الله، فيقول عن نفسه: "أما أنا فمسكين وكئيب، خلاصك يا الله فليرفعني، اسبح اسم الله بتسبيح، وأعظمه بحمد، فيستطاب عند الرب أكثر من ثور بقر ذي قرون وأظلاف، يرى ذلك الودعاء، فيفرحون، وتحيا قلوبكم يا طالبي الله، لأن الرب سامع للمساكين، ولا يحتقر أسراه" (المزمور 69 / 29-33)، لقد سمع الله دعاءه، وخلاص الله رفعه وإنجاؤه، وفرح بنجاته المؤمنون، فالرب يسمع دعاء المساكين، لذا فهو يستحق المزيد من الحمد والتسبيح. وقد يشكل على القارئ الكريم قوله: "أما أنا فلك صلاتي يا رب في وقت رضا، يا الله بكثرة رحمتك استجب لي بحق خلاصك.. استجب لي يا رب، لأن رحمتك صالحة، ككثرة مراحمك التفت إليّ"، فيرى - خطأً - أن هذا السائل المستغيث هو المسيح، وهذا فهم خاطئ، إذ السائل هنا يستغيث مستشفعاً بما سبق من صلوات له زمن صحبته للمسيح، ويشفعها بطلب الرحمات من الله الرحيم كثير الرحمات، وهو الحبل الوحيد الذي يتشبث به الغريق، ولو كان خائناً فاجراً.

أما المسيح عليه الصلاة والسلام فكان في دعائه المستجاب يستشفع بكماله وصلاحه وعبادته لله، ومنه قوله: "اقض لي يا رب كحقي، ومثل كمالي الذي في" (المزمور 7/8)، ومثله في المزمور الواحد والأربعين "أما أنا فبكمالي دعمتني، وأقمتني قدامك إلى الأبد، مبارك الرب إله إسرائيل، من الأزل وإلى الأبد، آمين فأمين" (المزمور 41 / 12).

وقد أوضحتها المزامير في مواضع، منها قوله: "أذلت بالصوم نفسي، وصلاتي إلى حضني ترجع" (المزمور 35/13)، وفي المزمور الواحد والتسعين "أرفعه لأنه عرف اسمي، يدعوني فأستجيب له، معه أنا في الضيق، أنقذه وأمجده" (المزمور 91/14)، وكذا في المزمور العشرين اعتمد المسيح واتكل على صالح عمله وبره لله "ليستجب لك الرب في يوم الضيق. ليرفعك اسم إله يعقوب، ليرسل لك عوناً من قدسه، ومن صهيون ليعضدك، ليذكر كل تقدماتك، وليستسمن محرقاتك" (المزمور 20/3).

سابعاً: المزمور الخامس والثلاثون

وهذا المزمور شاهد آخر يتحدث عن المسيح، فقد اقتبس منه يوحنا في إنجيله، حين قال: "وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي، لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم: إنهم أبغضوني بلا سبب" (يوحنا 15/24-25)، وهذا الاقتباس من الفقرة السابعة من المزمور، وفيها: "لأنهم بلا سبب أخفوا لي هوة شبكتهم"، فهو يتحدث عن المسيح باتفاق النصارى، وبشهادة يوحنا. فهل كان المزمور نبوءة عن المسيح المصلوب، أم كان بشارة بنجاته عليه الصلاة والسلام؟

يقول المزمور متحدثاً عن دعاء مؤمن محتاج إلى رعاية ربه وحمايته له من أعدائه، فيقول: "خاصم يا رب مخاصمي، قاتل مقاتلي، أمسك مجناً وترساً، وانهض إلى معونتي، وأشرع رمحاً، وصد تلقاء مطاردي، قل لنفسى: خلاصك أنا" (المزمور 35/1-3).

ويطلب ذلكم الداعي المؤمن من ربه أن يقع عدوه في الشبكة التي نصبها، ويطلب من الله أن يؤيده بالملائكة، فيقول: "ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسي، ليرتد إلى الوراء، ويخجل المتفكرون بإساءتي، ليكونوا مثل العصافه قدام الريح، وملاك الرب داحرهم، ليكن طريقهم ظلاماً وزلماً، وملاك الرب طاردهم، لأنهم بلا سبب أخفوا لي هوة شبكتهم، بلا سبب حفروا لنفسى، لتأته التهلكة وهو لا يعلم، ولتنشب به الشبكة التي أخفاها، وفي التهلكة نفسها ليقع" (المزمور 35/4-8)، لقد طلب من الله طلباً في شأن عدوه، طلب منه أن

يقتله بشبكته التي نصبها، أي في ذات المؤامرة التي سعى فيها، فهل استجاب الله لوليه أم خيبه؟
 السفر يجب بوضوح أن الله استجاب له ، وبتتهج بخلص المسيح ونجاته " أما نفسي فتفرح بالرب، وبتتهج بخلصه، جميع عظامي تقول: يا رب، من مثلك المنقذ المسكين ممن هو أقوى منه؟ والفقير والبائس من سألته؟ شهود زور يقومون، وعما لم أعلم بسألونني، يجازونني عن الخير شراً، ثكلاً لنفسي، أما أنا ففي مرضهم كان لباسي مسحاً، أذلت بالصوم نفسي، وصلاتي إلى حضني ترجع " (المزمور 9/35-13).
 ويعود المزمور للحديث عن أعدائه الذين عادوا بالخيبة، فيقول: " لا يشمت بي الذين هم أعدائي باطلاً، ولا يتغامز بالعين الذين يبغضونني بلا سبب، لأنهم لا يتكلمون بالسلام، وعلى الهادئين في الأرض يفتكرون بكلام مكر، فغروا عليّ أفواههم، قالوا: هه هه، قد رأنا أعيننا، قد رأيت يا رب، لا تسكت يا سيد، لا تتعد عني، استيقظ، وانتبه إلى حكمي يا الهي وسيدي، إلى دعواي، اقض لي حسب عدلك يا رب.
 إلهي فلا يشمتوا بي، لا يقولوا في قلوبهم: هه شهوتنا، لا يقولوا: قد ابتلعناه، ليخز وليخجل معاً الفرحون بمصيبي، ليلبس الخزي والخل المتعظمون عليّ، ليهتف ويفرح المبتغون حقي، وليقولوا دائماً: ليتعظم الرب المسرور بسلامة عبده، ولساني يلهج بعدلك، اليوم كله بحمدك " (المزمور 19/35-28)، لقد كان دعاء حاراً من العبد المؤمن ، وهو يطلب من الله العادل أن يخزي أعدائه الذين أبغضوه بلا سبب.
 وقد استجاب الله له " أما نفسي فتفرح بالرب، وبتتهج بخلصه، جميع عظامي تقول: يا رب، من مثلك المنقذ المسكين ممن هو أقوى منه؟ والفقير والبائس من سألته؟ ...أما أنا ففي مرضهم كان لباسي مسحاً، أذلت بالصوم نفسي، وصلاتي إلى حضني ترجع " (المزمور 9/35-13)، لقد شفع له عند ربه صلاته وصيامه ولباسه للمسوح عبادة لله وتذلاً.

ثامناً : المزمور الواحد والأربعون :
 وهذا المزمور أحد الأسفار التي تحدثت عن المسيح، وقد اقتبس منه يوحنا في ثانيا حديثه عن يهوذا فقال

متنبئاً بخيانتته: "إن علمتم هذا فطوبياكم إن عملتموه، لست أقول عن جميعكم، أنا أعلم الذين اخترتهم، لكن ليتم الكتاب، الذي يأكل معي الخبز رفع عليّ عقبه" (يوحنا 13/17-18)، فقد اقتبس من المزمور الواحد والأربعين الفقرة التاسعة وفيها: "رجل سلامتي الذي وثقت به أكل خبزي رفع عليّ عقبه"، فالمزمور نبوءة عن المسيح بدليل قول المسيح: "لكن ليتم الكتاب". ودعونا نتأمل المزمور من أوله، حيث يتنبأ المزمور بنجاة المسيح في يوم ضيقه، فإن الرب حفظه ولم يسلمه لمرام أعدائه، فيقول: "طوبى للذي ينظر إلى المسكين، في يوم الشر ينجيه الرب، الرب يحفظه ويحييه، يغتبط في الأرض، ولا يسلمه إلى مرام أعدائه، الرب يعضده وهو على فراش الضعف" (المزمور 41/1-3).

ثم يتحدث المزمور عن أعداء المسيح، وعن الخائن الذي وثق به، فيقول: "أعدائي يتقاولون عليّ بشر، متى يموت ويبعد اسمه، وإن دخل ليراني يتكلم بالكذب، قلبه يجمع لنفسه إثماً، يخرج في الخارج يتكلم، كل مبغضني يتناجون معاً عليّ، عليّ تفكروا بأذيتي، يقولون: أمر رديء قد انسكب عليه، حيث اضطجع لا يعود يقوم، أيضاً رجل سلامتي الذي وثقت به، أكل خبزي، رفع عليّ عقبه" (المزمور 41/5-9)، لقد كان تلميذه يهوذا، رجل سلامته أحد المتأمرين عليه.

لكن كمال المسيح وحسن طاعته لله نجياه من كيد عدوه، وأبطل مؤامرة يهوذا، فيقول المزمور: "أما أنت يا رب فارحمني، وأقمني فأجازيهم، بهذا علمت أنك سررت بي، إنه لم يهتف عليّ عدوي، أما أنا فبكمالي دعمتني، وأقمتني قدامك إلى الأبد، مبارك الرب إله إسرائيل، من الأزل وإلى الأبد، آمين فأمين" (المزمور 41/10-13)، لقد سُرب به ربه، ولم يهتف عليه عدوه، بل بكماله وصلاحه كتبت له النجاة.

تاسعاً : المزمور الرابع والثلاثون

وهذا المزمور أيضاً يتحدث عن المسيح عليه الصلاة والسلام، وقد أحال عليه كتاب الأناجيل، واعتبروه نبوءة عن المسيح، ففي الفقرة العشرين منه يقول: " يحفظ جميع عظامه، واحدٌ منها لا ينكسر"، وهي العبارة التي

اقتبسها يوحنا، واعتبرها نبوءة عن المسيح، فقال: "لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل: عظم منه لا يكسر" (يوحنا 19/36).

فبماذا تنبأ المزمور، هل كان يتحدث عن المسيح المصلوب الذي لم يستجب الله دعاءه، أم عن المسيح الناجي الذي لا يكسر منه عظم، فيما تحيق المؤامرة بأعدائه الأشرار، يقول المزمور متحدثاً عن دعاء المسيح الطويل في البستان، وعن استجابة الله له، وعن المدد الذي أمده من الملائكة: "طلبت إلى الرب فاستجاب لي، ومن كل مخاوفي أنقذني، نظروا إليه واستناروا، ووجوههم لم تخجل، هذا المسكين صرخ، والرب استمعه، ومن كل ضيقاته خلصه، ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم، ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب، طوبى للرجل المتوكل عليه، اتقوا الرب يا قديسيه، لأنه ليس عوز لمتقيه، الأشبال احتاجت وجاعت، وأما طالبو الرب فلا يعوزهم شيء من الخير" (المزمور 10-34/1).

ويمضي السفر مؤكداً استجابة الله للمسيح، وسلامة جسده، وينتقل للحديث عن أعدائه الذين يصب عليهم غضبه، فيقول: "عينا الرب نحو الصديقين، وأذناه إلى صراخهم، وجه الرب ضد عاملي الشر، ليقطع من الأرض ذكرهم، أولئك صرخوا، والرب سمع، ومن كل شدائدهم أنقذهم، قريب هو الرب من المنكسري القلوب ويخلص المنسحق الروح، كثيرة هي بلايا الصديق، ومن جميعها ينجيه الرب، يحفظ جميع عظامه، واحد منها لا ينكسر، الشر يमित الشرير، ومبغضو الصديق يعاقبون، الرب فادي نفوس عبده، وكل من اتكل عليه لا يعاقب" (المزمور 22-34/15)، فلقد مات الشرير بشره، فيما سلمت جميع عظام المسيح من أن تكسر، وهو ما لم تحقق في المصلوب الذي كسرت المسامير - ولا ريب - بعض عظام يديه ورجليه " ثقبوا يدي ورجلي " (المزمور 22/16)، فالمسيح الناجي هو فقط من حقق هذه النبوءة

لقد أنقذ الله المسيح من كل الشدائد، لأنه اتكل عليه "عينا الرب نحو الصديقين، وأذناه إلى صراخهم، أولئك صرخوا، والرب سمع، ومن كل شدائدهم أنقذهم، قريب هو الرب من المنكسري القلوب ويخلص المنسحق الروح، كثيرة هي بلايا الصديق، ومن جميعها ينجيه الرب،

يحفظ جميع عظامه، واحد منها لا ينكسر .. وكل من اتكل عليه لا يعاقب " (المزمور 22-34/15).
وعاقب الله مبغضي المسيح، وقطع من الأرض ذكرهم، وأماتهم بشرهم الذي صنعوه " وجه الرب ضد عاملي الشر، ليقطع من الأرض ذكرهم.. الشر يميت الشرير، ومبغضو الصديق يعاقبون " (المزمور 34/16-21).

عاشراً : المزمور الواحد والتسعون

ويتقدم الشيطان إلى المسيح يختبره ويذكره بنبوءة المزامير عنه، " وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب: إنه يوصي ملائكته بك، فعلى أيديهم يحملونك، لكي لا تصدم بحجر رجلك، قال له يسوع: مكتوب أيضاً: لا تجرب الرب إلهك " (متى 4/6-7)، فالمسيح هو الذي يوصي فيه الله ملائكته، فيحملونه، ولا يمسه سوء، حتى الحجر لا يصيبه بسوء، لأن الملائكة حملته.

وهذه النبوءة التي أقرها المسيح ووافق على استحقاقه لها، اقتبسها الشيطان من المزمور الواحد والتسعين، من الفقرة الحادية عشرة، حيث جاء فيها: " لأنه يوصي ملائكته بك، ليحفظوك في كل طرقك، على الأيدي يحملونك، لئلا تصدم بحجر رجلك "، فهي نبوءة عن المسيح، فمتى تحققت هذه النبوءة؟

فالمزمور يتحدث عن المسيح المتكل على الله والذي ينجيه من مؤامرة الصياد، ويستجيب له، ويرفعه للسماء، من غير أن يمسه شر أو أذى، وقبل أن يتمكن أعداؤه منه تحمله الملائكة، ويعطى حياة طويلة، بدلاً من الضيق، يقول المزمور: " إلهي فاتكل عليه، لأنه ينجيك من فخ الصياد، ومن الوباء الخطر، بخوافيه يظلللك، وتحت أجنحته تحتمي، ترس ومجن حقه، لا تخشى من خوف الليل، ولا من سهم يطير...

لأنك قلت: يا رب، أنت ملجأ، جعلتُ العلامسكنك، لا يلاقيك شر، ولا تدنو ضربة من خيمتك، لأنه يوصي ملائكته بك ليحفظوك في كل طرقك، على الأيدي يحملونك، لئلا تصدم بحجر رجلك، على الأسد والصل تطلا، الشبل والثعبان تدوس، لأنه تعلق بي أنجيه، أرفعه لأنه عرف اسمي، يدعوني فأستجيب له، معه أنا في الضيق، أنقذه

وأمجده، من طول الأيام أشبعه، وأريه خلاصي " (المزمور 91/2 - 16).

وفي المزمور السابع والخمسين " أصرخ إلى الله العلي، إلى الله المحامي عني، يرسل من السماء ويخلصني، غير الذي يتهممني... هياؤا شبكة لخطواتي، انحنت نفسي، حفروا قدامي حفرة سقطوا في وسطها " (المزمور 57/2-6).

وهكذا فالمزمور الواحد والتسعون نبوءة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، واضحة في استجابة الله للمسيح، ورفع له للسماء على يد الملائكة قبل أن تصيبه يد أعدائه بأدنى شر، فلم يضرب ولم يبصق في وجهه، ولم يصلب، ولم يمت، عليه صلوات الله وسلامه.

حادي عشر : المزمور التاسع بعد المائة ، وفيه : " يا إله تسبيحي، لا تسكت ؛ لأنه قد انفتح على فم الشرير، وفم الغش. تكلموا معي بلسان كذب. بكلام بغض، أحاطوا بي، وقتلوني بلا سبب. بدل محبتي يخاصمونني. أما أنا فصلوة. وضعوا على شراً بدل خير، وبغضاً بدل حبي. فأقم أنت عليه شريراً، وليقف شيطان عن يمينه. إذا حوكم فليخرج مذنباً، وصلاته فلتكن خطية. لتكن أيامه قليلة، ووظيفته ليأخذها آخر. ليكن بنوه أيتاماً، وامراته أرملة. ليته بتؤه تيهاناً ويستعطوا. ويلتمسوا خبزاً من خربهم. ليصطد المرابي كل ما له، ولينهب الغرباء تبعه. لا يكن له باسط رحمة، ولا يكن متراف على يتاماه. لتنقرض ذريته. في الجيل القادم ليمح اسمهم. ليذكر إثم آباءه لدى الرب، ولا تمح خطية أمه. لتكن أمام الرب دائماً. وليقرض من الأرض ذكرهم. من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة، بل طرد إنساناً مسكيناً وفقيراً، والمنسحق القلب ليميته.

وأحب اللعنة، فأنته، ولم يسر بالبركة، فتباعدت عنه. ولبس اللعنة مثل ثوبه فدخلت، كميأه في حشاه، وكزيت في عظامه. لتكن له كثوب يتعطف به، وكمنطقة يتمنطق بها دائماً. هذه أجرة مبغضي من عند الرب، وأجرة المتكلمين شراً على نفسي.

أما أنت يا رب السيد فاصنع معي من أجل اسمك. لأن رحمتك طيبة نجني، فإني فقير، ومسكين أنا، وقلبي مجروح في داخلي. كظل عند ميله ذهبت. انتفضت

كجرادة. ركبتي ارتعشتا من الصوم، ولحمي هزل عن سمن. وأنا صرت عاراً عندهم. ينظرون إليّ وينغضون رؤوسهم.

أعني يا رب، إلهي. خلصني حسب رحمتك. وليعلموا أن هذه هي يدك، أنت يا رب فعلت هذا. أما هم فيلعنون. وأما أنت فتبارك. قاموا وخزوا. أما عبدك فيفرح. ليلبس خصمائي خجلاً وليتعطفوا بخزيهم كالرداء. أحمد الرب جداً بغمي، وفي وسط كثيرين أسبحه، لأنه يقوم عن يمين المسكين، ليخلصه من القاضين على نفسه" (المزمور 109/1 - 31)

وهذا المزمور أيضاً يراه النصارى على علاقة بقصة الصليب، وأن المقصود في بعضه يهوذا، وهو قوله: " ووظيفته ليأخذها آخر، ليكن بنوه أيتاماً، وامراته أرملة .. ويلتمسوا خبزاً من خربهم " وقد أحال عليه كاتب " أعمال الرسل " وهو يتحدث على لسان بطرس، حين قال متحدثاً عن يهوذا: " لأنه مكتوب في سفر المزامير: لتصر داره خراباً، ولا يكن فيها ساكن، وليأخذ وظيفته آخر " (أعمال 1/15 - 26).

وقد انتخب الحواريون بدلاً من يهوذا تنفيذاً لهذا الأمر يوسف ومتياس، وأقرعوا بينهما، فوقعت القرعة على متياس، فحسبوه مكماً للأحد عشر رسولاً. (انظر أعمال 1/23 - 26).

إذاً فالنص في هذا المزمور يتحدث عن يهوذا ولا ريب، وهذا صحيح، فهو يتحدث عن محاكمته " وإذا حوكم فليخرج مذنباً "، فمتى حوكم يهوذا إذا لم يكن هو المصلوب؟ والنص يتحدث عن محاكمته، وعن نتيجة محاكمته " لتكن أيامه قليلة، ووظيفته ليأخذها آخر ". كما يتحدث المزمور عن وقوفه على الصليب، وعن يمينه شيطان، ذاك الذي كان يستهزأ به، (لوقا 23/39-43)، فمتى وقف شيطان عن يمين يهوذا، ومتى حوكم إن لم يكن ذلك في تلك الواقعة التي تجلى فيها غضب الله عليه؟

كما يتحدث المزمور عن ثوب اللعنة الذي لبسه يهوذا على الصليب " ولبس اللعنة مثل ثوبه فدخلت، كميّاه في حشاه، وكزيت في عظامه. لتكن له كثوب يتعطف به، وكمنطقة يتمنطق بها دائماً، هذه أجرة مبغض من عند الرب، وأجرة المتكلمين شراً على نفسي "، لقد كانت

اللعنة أجرتة على عمله، فقد علق على الصليب، وكل معلق ملعون، كما في سفر التثنية "وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت، فقتل، وعلقتة على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله" (التثنية 21/22-23).

ونص المزمور - كما رأينا - يتحدث في شطرين على لسان المسيح.

ففي الشطر الأول: يتحدث عن الأشرار الذين قاتلوه بلا سبب، ووضعوا عليه الشر بدل الخير.
وفي الشطر الثاني: يستمطر الداعي نفسه اللعنات على هذا الشرير، ويسأل الله الخلاص حسب رحمته " أعني يا رب، إلهي، خلصني حسب رحمتك.. " ويفرح المسيح لخلاصه " لأنه يقوم عن يمين المسكين، ليخلصه من القاضين على نفسه ".

ثاني عشر: المزمور الثامن عشر بعد المائة وكذا يؤمن النصارى أن المزمور الثامن عشر بعد المائة نبوءة عن المسيح عليه السلام، إذ يتحدث المزمور في آخره عن الحجر الذي رفضه البناؤون، فيقول: "الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا... مبارك الآتي باسم الرب"، وقد اعتبره بطرس نبوءة عن المسيح المصلوب متناسياً ما جاء في مقدمة المزمور عن هذا الحجر العظيم، يقول بطرس: "فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم الذي أقامه الله من الأموات، بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً، هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيها البناؤون الذي صار رأس الزاوية" (أعمال 4/10-11).

وقد أخطأ بطرس حين ظن أن المزمور نبوءة عن المصلوب، وعذره في ذلك أنه عامي عديم العلم، كما وصفه أولئك الذين سمعوا منه هذه المقالة " فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا، ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان، تعجبوا " (أعمال 4/13)، فهذا عذره ندلي به قبل أن نقلب النبوءة باحثين عن الحقيقة.
يقول المزمور متحدثاً عن الحجر الذي رفضه البناؤون: "من الضيق دعوت الرب فأجابني، من الرحب، الرب لي

فلا أخاف، ماذا يصنع بي الإنسان، الرب لي بين معيني، وأنا سأرى بأعدائي، الاحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان، الاحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء" (المزمور 9-118/5)، لقد توكل المسيح على الرب، الذي أجابه من الضيق وأعانه.

ثم يتحدث المزمور عن أعداء المسيح ومؤامرتهم عليه، ويترنم بانطفاء نارهم وإبادتهم، وفشل مؤامرتهم، فيقول: " كل الأمم أحاطوا بي، باسم الرب أبيدهم، أحاطوا بي واكتنفوني، باسم الرب أبيدهم، أحاطوا بي مثل النحل، انطفأوا كنار الشوك، باسم الرب أبيدهم، دَحَرْتَنِي دَحُورًا لِأَسْقَطَ، أما الرب فعضدني، قوتي وترنمي الرب، وقد صار لي خلاصاً" (المزمور 10-118-15).

لقد خلصه الله من الموت ولم يسلمه إليه، لذا فهو يبتهج ويفرح باستجابة الله له وبخلاصه من الموت " صوت ترنم وخلاص في خيام الصديقين، يمين الرب صانعة بئاس، يمين الرب مرتفعة، يمين الرب صانعة بئاس، لا أموت، بل أحياء، وأحدث بأعمال الرب، تأديباً أدبني الرب، وإلى الموت لم يسلمني، افتحوا لي أبواب البر، ادخل فيها، واحمد الرب، هذا الباب للرب، الصديقون يدخلون فيه، أحمدك لأنك استجبت لي، وصرت لي خلاصاً، الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا، هذا هو اليوم الذي صنعه الرب، نبتهج ونفرح فيه، أه يا رب خلص، أه يا رب أنقذ، مبارك الآتي باسم الرب" (المزمور 15-118-26)، فالمزمور كما رأيت شهادة أخرى بنجاة المسيح وخلاصه من يد أعدائه.

وذات الصورة تتكرر في سائر إصحاحات سفر المزامير الذي يعتبره القمّص سرجيوس سفر مسيياً الخاص، ونختم منه بالمزمور الأربعين بعد المائة، وفيه: "أنقذني يا رب من أهل الشر، من رجل الظلم احفظني. الذين يتفكرون بشرور في قلوبهم، اليوم كله يجتمعون للقتال، سنوا ألسنتهم كحية حمة الأفعوان تحت شفاهم. سلاه. احفظني يا رب من يدي الشرير، من رجل الظلم أنقذني، الذين تفكروا في تعشير خطواتي. أخفى لي المستكبرون فخاً وحبلاً، مدوا شبكة بجانب الطريق، وضعوا لي أشراكاً. سلاه، قلت للرب: أنت إلهي، أصغ يا رب إلى

صوت تضرعاتي... لا تعط يا رب شهوات الشرير، لا تنجح مقاصده" (المزمور 140/1-8).

خلاصة نبوءات المزامير

ويخلص الأستاذ العلامة منصور حسين في دراسته الرائعة إلى نتيجة واضحة بينة، ويسطرها في قوله: " من جماع ما تقدم لا نخلص إلا بأن المزامير تنبأت بحق بأن الله مخلص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه، يرفعه من أبواب الموت، يرفعه فوق القائمين عليه، يرسل من العُلا فيأخذه.

أما يهوذا الإسخريوطي الذي حفر له هذه الحفرة، وأتى على رأس الجمع من جنود وخدام ليقبضوا عليه، على المسيح سيده، فإنه في الحفرة نفسها يقع، ويعمل يديه يعلق، رجع تبعه على رأسه، وعلى هامته هبط ظلمه، صار عاراً عند البشر، فقبض عليه هو بدلاً من المسيح، وحوكم هو، وصلب بدلاً منه.

وهكذا تستقيم النبوءة في المزامير، وهكذا تتجلى النبوءة في المزامير، في أسطع وأروع وأسمى ما تكون النبوءة، ليست آية نحرفها، أو كلمة نُحوّر معناها، بل صورة كاملة، عشرات الآيات، عشرات المزامير، كلها تنطق بصورة واحدة متكاملة، تتكرر كثيراً، ولكن أبداً لا تتغير.

هذه الحقيقة هي تلك التي نطق بها القرآن، واعتقدتها المسلمون... ولمن يريد أن يزيد يقينا، فها هي المزامير كلها في الكتاب المقدس، الذي يؤمن به المسيحيون، ويتداولونه، وإليها فليرجع، ولن يزيده هذا إلا يقينا وتقديراً لهذه الحقيقة التي انتهينا إليها.. "

وإذا أراد المزيد من اليقين فليقرأ ما جاء في سفر الأمثال: " الأشرار يكونون كفارة لخطايا الأبرار " (الأمثال 21/18)، وليتأمل بمزيد عناية قوله: " بر الكامل يقوم طريقه، أما الشرير فيسقط بشره، بر المستقيمين ينجيهم، وأما الغادرون فيؤخذون بفسادهم، الصديق ينجو من الضيق، ويأتي الشرير مكانه " (الأمثال 11/5 - 8).

ولا يفوتنا أن نذكر أن الاحتجاج بنبوءات المزامير على نجاه المسيح قديم، بل يرجع للمسيح - إن صح ما في إنجيل برنابا -، فقد جاء فيه أن المسيح قال: " إن واحداً منكم سيسلمني، فأباع كالخروف، ولكن ويل له، لأنه

سيتم ما قاله داود أبونا عنه، أنه سيسقط في الهوة التي أعدّها للآخرين" (برنابا 24/213 - 26).

وإذا قلنا: إن المزامير بشرت بنجاته، فللنصارى أن يقولوا: كيف لم يعرف المسيح ذلك من العهد القديم؛ لم قال عن نفسه بأنه سيصلب كما في الأناجيل؟ والإجابة عن هذا التساؤل لا تلزمنا نحن المسلمين الذين لا نعتد بما جاء في هذه الكتب، إلا ما قام على صدقه وتوثيقه دليل من ديننا.

ثم القصة هي امتحان للمسيح عليه السلام، كما كان الأمر بالذبح امتحاناً لإبراهيم وابنه الوحيد، ولو عرف المسيح نتيجة الامتحان مقدماً لما كان له أي معنى، كما لو عرفها إبراهيم، فلذلك خفيت عليه، وليس لقصور فهمه أو إدراكه، حاشاه، ولكن لتحقيق إرادة الله بامتحانه، ونجاحه في الامتحان.

ثم لا يمكن القطع بأن المسيح لم يعرف المعنى الصحيح الذي تدل عليه النبوءات، بل قد يكون المسيح عرف ذلك، فلجأ إلى الله يتضرع إليه ويسأله صرف هذه الكأس، لأنه عرف أن الله يستجيب دعاءه وتضرعه، بينما لو وافقنا الرواية الإنجيلية بأن المسيح علم أنه سيصلب ثم صلب، فما فائدة تضرعه ودعائه، ولم كان جزعه يأسه وصراخه على الصليب "لماذا تركتني"؟

كما ثمة أمر آخر يجدر التنبيه له، وهو أن فهم النبوءات لا يعني يقيناً معرفة الساعة، وتحديد اليوم الذي سيسعى أعداؤه فيه للقبض عليه، فهذا قد يكون سبب خفاء وقت تحقق هذه النبوءات على المسيح عليه الصلاة والسلام .

هل ما جاء في سفر إشعيا نبوءة عن صلب المسيح؟

لكن النصارى يرون أن ثمة نبوءة في غير المزامير قد وردت في صلب المسيح، ألا وهي ما جاء في إشعيا 52 و 53 وفيه: " هو ذا عبدي يعقل، ويتعالى، ويرتقي ويتسامى جداً، كما اندهش منه كثيرون، كان منظره كذا مفسدة أكثر من الرجل، وصورته أكثر من بني آدم، هكذا ينضح أمماً كثيرين، من أجله يسد ملوك أفواههم، لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به، وما لم يسمعه فهموه. من صدق خبرنا، ولمن استعلنت ذراع الرب، نبت قدامه كفرخ، وكعرق من أرض يابسة، لا صورة له ولا جمال فننظر إليه، ولا منظر فننشتهي، محتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع، ومختبر الحزن، وكمسّر عنه وجوهنا، محتقر فلم نعتد به.

لكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها، ونحن حسبناه مصلوباً، مضروباً من الله ومذلولاً، وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه، وبحبره شفينا، كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا، ظلم أما هو فتذلل، ولم يفتح فاه، كشاة تساق إلى الذبح، وكنعجة صامئة أمام جازيها، فلم يفتح فاه.

من الضغطة، ومن الدينونة أخذ، وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء، أنه ضرب من أجل ذنب شعبي، وجعل مع الأشرار قبره، ومع غني عند موته، على أنه لم يعمل ظلماً، ولم يكن في فمه غش.

أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن، أن جعل نفسه ذبيحة إثم، يرى نسلًا تطول أيامه، ومسرة الرب بيده تنجح، من تعب نفسه يرى ويشبع، وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين، وآثامهم هو يحملها، لذلك أقسم له بين الأعداء ومع العظماء، يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه، وأحصي مع أئمة، وهو حمل خطية كثيرين، وشفع في المذنبين " (إشعيا 52/13 - 53/12) .

ويربط النصارى بينه وبين ما جاء في مرقس " فتم الكتاب القائل: وأحصي مع أئمة " (مرقس 15/28)، ومقصوده كما لا يخفى ما جاء في إشعيا " سكب للموت نفسه، وأحصي مع أئمة " ومثله في أعمال الرسل (أعمال 8/22 - 23) .

والنص ولا ريب قد تعرض للكثير من التلاعب والتحويل، وتجزم بهذا التلاعب عندما تلحظ غموض عباراته، وحين تقارن نص إشعيا مع ما جاء في أعمال الرسل، وهو ينقل عنه، وفيه " وأما فصل الكتاب الذي كان يقرأه، فكان هذا: مثل شاة سيق إلى الذبح، ومثل خروف صامت أمام الذي يجزه، هكذا لم يفتح فاه، في تواضعه انتزع قضاؤه، وجيله من يخبر به، لأن حياته تنتزع من الأرض " (أعمال 8/32 - 33)، فثمة فروق بين ما جاء في إشعيا وما نقله عنه أعمال الرسل..

فالنعجة في سفر إشعيا تحولت في أعمال الرسل إلى خروف، و "من الضغطة، ومن الدينونة أخذ" أضحت "في تواضعه انتزع قضاؤه" .

لكن الفارق الأكبر بين السفرين نجده في قول إشعيا " وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء"، فيما يقول سفر الأعمال " وجيله من يخبر به، لأن حياته تنتزع من الأرض"، وهذه الفروق تدلنا على مدى الحرية التي تعامل بها القديسون أو المترجمون للنصوص الكتابية، لذا حق للمحققين أن يروا ما ورد في إشعيا نصاً حُور لينطبق على المسيح، ودليل ذلك أن المسيح والتلاميذ والحواريين لم يفهموا ابتداءً أن ما جاء في إشعيا نبوءة عن المسيح، فالمسيح لم يشر إلى هذه النبوءة، ولا تلاميذه.

فها هو فيلبس يقرأ النص، ولم يفهم منه أنه نبوءة عن المسيح، حتى أطلعه عليه خصي حبشي وثني، كان وزيراً لملك كنداكة ملك الحبشة، وبعد هذه القصة تنصر الرجل، وعمّده فيلبس، يقول لوقا: " فبادر إليه فيلبس وسمعه يقرأ النبي إشعيا فقال (أي الخصي): أعلك تفهم ما أنت تقرأ؟ فقال: كيف يمكنني إن لم يرشدني أحد، وطلب إلى فيلبس أن يصعد ويجلس معه.

وأما فصل الكتاب الذي كان يقرأه فكان هذا: مثل شاة سيق إلى الذبح، ومثل خروف صامت أمام الذي يجزه هكذا لم يفتح فاه. في تواضعه انتزع قضاؤه، وجيله من يخبر به، لأن حياته تنتزع من الأرض.

فأجاب الخصي فيلبس: وقال أطلب إليك: عن من يقول النبي هذا؟ عن نفسه أم عن واحد آخر؟ ففتح فيلبس فاه، وابتدأ من هذا الكتاب، فبشره يسوع... فعمّده، ولما صعدا في الماء خطف روح الرب

فيلبس، فلم يبصره الخصي أيضاً، وذهب في طريقه فرحاً، وأما فيلبس فوجد في أشدود" (أعمال 8/26 - 40)، فالخصي هو الذي أوحى إلى فيلبس ثم النصارى بفكرة تنبؤ نص إشعيا بالمسيح.

والمسلمون لا يرون في هذا النص أي نبوءة عن المسيح، ويستغرب المسلمون ويستنكرون من الربط بين نص إشعيا وقصة الصلب في الأناجيل، فنص إشعيا يتحدث وفي أكثر من موضع عن عبد، فيما يقول النصارى بالوهية المسيح، فكيف يجمعون بين عبوديته لله وألوهيته في وقت واحد.

وهذا العبد قبيح في منظره، مخذول محتقر لا يعتد به، فهو ليس المسيح على أي حال " هو ذا عبدي... كان منظره كذا مفسدة أكثر من الرجل، وصورته أكثر من بني آدم.. لا صورة له ولا جمال، فننظر إليه، ولا منظر فنشتهيه، محتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع، ومختبر الحزن، وكمسّر عنه وجوهنا، محتقر فلم نعتد به "، أفهذه صورة المسيح عندهم؟.

والنص أيضاً يتحدث عن الذي " لم يفتح فاه، كشاة تساق إلى الذبح، وكنعجة صامته أمام جازيها، فلم يفتح فاه ".

بينما المسيح تكلم مراراً وتكراراً، فقد تكلم طويلاً في البستان، وهو يناجي، طالباً من الله أن يعبر عنه هذه الكأس...، ثم نطق فقال لبيلاطس أثناء محاكمته: " أنت تقول: إني ملك، لهذا قد ولدت أنا، ولهذا قد أتيت إلى العالم، لأشهد للحق، كل من هو في الحق يسمع صوتي " (يوحنا 18/37)، وكان قد قال له قبل: " مملكتي ليست في هذا العالم، لو كانت مملكتي في هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتي من هذا " (يوحنا 18/36).

كما تكلم في المحاكمة لما لطمه أحد الخدم فأجابه المسيح: " إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي، وإن حسناً فلماذا تضربيني؟ " (يوحنا 18/22).
فإن أصر النصارى بعد ذلك على أن النبوءة تنطبق على المسيح، فقد قالوا إذاً بأن المسيح تكلم وهو مغلق الفم !!!

والنص يتحدث عن صاحب نسل وولد، فيقول: " يرى نسلاً تطول أيامه "، وقد سر الرب بعذابه " وأما الرب

فسر بأن يسحقه بالحزن "، فهل يسر الله لأحزان عبده البار، المسيح عليه الصلاة والسلام.

كما يذكر نص إشعيا شجاعة وتماسكاً لا تتناسب وصرخ المصلوب، وجزعه، وقنوطه، فالمصلوب لم يظهر كشاة أمام جازيها صامته، "وهكذا لم يفتح فاه".

ويرى الأستاذ محمد الأفندي أن لا علاقة بين هذا الإصحاح في إشعيا، وبين حادثة الصلب، فالإصحاح يتحدث عن قصة بني إسرائيل، وذلك في بابل بسبب معاصيهم ومعاصي سلفهم، فحاق بهم عقوبة الله التي عمّت صالحهم وفجارهم، ويوضح ذلك في أن قوله: " هو ذا عبدي.. كما اندهش منك كثيرون كان منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل، وصورته أكثر من بني آدم " فالمقصود بالعبد شعب إسرائيل، فقد عُهد في التوراة إطلاق لفظ الفرد، والمراد الشعب كما في إشعيا: " يقول الرب، خالك يا يعقوب، وجابلك يا إسرائيل..... وإذا اجتزت في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك، لأنني أنا الرب إلهك، قدوس إسرائيل، مخلصك، جعلت مصر فديتك " (إشعيا 43/1 - 3)، ومثله في (إشعيا 41/8)، والمقصود من ذلك كله شعب إسرائيل.

فيصف إشعيا 52 و 53 ويتنبأ عن غربة بني إسرائيل وذلتهم، ثم يتحدث عن عودة أبنائهم من أرض السبي "نت قدامه كفرح، وكعرق في أرض يابسة " فقد عادوا للأرض المقدسة، ونبتوا فيها، من جديد، كما في سفر النبي إرميا "وأجعل عيني عليهم للخير، وأرجعهم إلى هذه الأرض، وأبنيهم ولا أهدمهم، وأغرسهم، ولا أقلعهم" (إرميا 24/6)، وقوله: "وأفرح بهم لأحسن إليهم، وأغرسهم في هذه الأرض بالأمانة بكل قلبي وبكل نفسي" (إرميا 32/41). (وانظر إرميا 27/27-31-28).

وقد تغيرت صورتهم بسبب الذل فكان الشعب " محتقر مخذول.. الرب وضع عليه إثم جميعنا " ويفسره قول إرميا وقد شاهد الأسر البابلي: " أبأؤنا أخطؤوا، وليسوا بموجودين، ونحن نحمل آثامهم، عبيد حكموا علينا، ليس من يخلص من أيديهم، جلودنا اسودت من جري نيران الجوع " (المراثي 5/7-10).

وقوله: " ظلم أما هو فتدلل " كقوله " ثم ظلمه آشور بلا سبب " (إشعيا 4/52)، وكقوله: "إن بني إسرائيل وبني يهوذا معاً مظلومون " (إرميا 50/33).

وأما قوله: " كشاة تساق إلى الذبح.... " فهو حديث عن ملك بابل، وقد ساق بني إسرائيل، كما تساق الشياه إلى الذبح، كما في قوله: " أنزلهم كخراف للذبح، وككباش مع أعتدة " (إرميا 51/40) فمات أكثرهم جوعاً.

وقوله: " وجعل مع الأشرار قبره، ومع غني عند موته " أي أن دفنهم في بابل كان مع الوثنيين، ولا يمكن حمله على المسيح المدفون وحده في بستان، في قبر جديد، لم يدفن فيه معه لا شرير ولا غني.

" فسّر أن يسحقه بالحزن، أن جعل نفسه ذبيحة إثم، يرى نسلًا تطول أيامه " وفي النسخة الكاثوليكية يتضح المعنى أكثر: " والرّب رضي أن يسحقه بالعاهات، فإنه إذا جعل نفسه ذبيحة إثم يرى ذرية، وتطول أيامه " ، فهو إشارة لرجوعهم إلى وطنهم، وتعايشهم وتوالدهم في فلسطين بعد السبي والامه وعاهاته وبلاياه.

وقوله: " على أنه لم يعمل ظلماً، ولم يكن في فمه غش " حديث عن طهر أولئك الذين يعودون من السبي " يقول الرب: لأنني أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيتهم بعد " (إرميا 31/34)، كما قال عنهم: " وأرد سبي يهوذا وسبي إسرائيل وأبنيهم كالأول، وأطهرهم من كل إثمهم الذي أخطؤوا به إليّ، وأغفر كل ذنوبهم التي أخطؤوا بها إليّ والتي عصوا بها عليّ " (إرميا 33/7-8).

وأما قوله: " عبدي البار بمعرفته يبرر كثيرون، وآثامهم هو يحملها " يتحدث كيف شمل البؤس بررة بني

إسرائيل وعصاتهم، كما قال الله:
 (:)
 "
 " ()

: "
 :
 !
 .
 .

إبطال صلب المسيح بنبوءات وأخبار الأناجيل والرسائل

تحدث الأناجيل الأربعة عن صلب المسيح، كخاتمة لوجوده على الأرض، ولكن: هل تنبأ المسيح بأنه سيصلب ؟ وهل عرف بذلك تلاميذه ؟

لا ريب أن إجابة النصارى تتلخص في أن المسيح عرف أنه سيصلب وسيسلم لأعدائه، وأنه أخبر تلاميذه بذلك. وحثهم في ذلك قول متى: " تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح، وابن الإنسان يسلم ليصلب " (متى 26/1)، وكذا تلك النصوص التي تحدثت عن تنبأ المسيح بالمؤامرة التي تجري عليه، كما أعلمه الله تبارك وتعالى. لكن هذه النصوص لا تمنع بالضرورة أن يصرف الله قضاءه عن المسيح، فينجيه، ولذا فإن المسيح كان يناجي الله طالباً منه صرف كأس الموت عنه، فدعاؤه الطويل في البستان دليل على يقينه بإمكانية النجاة، وإلا كان دعاؤه نوعاً من العبث.

ولو تأملنا في قصة الملك حزقيا لرأينا شاهداً مطابقاً لما بين يدينا، يقول سفر إشعيا: " في تلك الأيام مرض حزقيا للموت، فجاء إليه إشعيا بن أموص النبي، وقال له: هكذا يقول الرب: أوص بيتك، لأنك تموت ولا تعيش " .

لكن الملك حزقيا لم ييأس " فوجه حزقيا وجهه إلى الحائط، وصلى إلى الرب، وقال: أه يا رب، اذكر كيف سرتُ أمامك بالأمانة وبقلب سليم، وفعلتُ الحسن في عينيك، وبكى حزقيا بكاء عظيماً " .

ولم يخيبه ربه " فصار قول الرب إلى إشعيا قائلاً: اذهب وقل لحزقيا: هكذا يقول الرب إله داود أبيك: قد سمعت صلاتك، قد رأيت دموعك، ها أنذا أضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة، ومن يد ملك أشور أنقذك وهذه المدينة، وأحامي عن هذه المدينة " (إشعيا 38 / 1-6)، فقد رفع الله حكمه المقدر في حق حزقيا بحكم آخر، فقد قيل تضرعه واستغاثته، وقبوله تعالى دعاء عبده البار المسيح من باب أولى.

ومثله في الوعيد الذي توعدده الله للملك آخاب ثم عفوه عنه لتضرعه واتضاعه بين يدي ربه، (انظر الملوك 1) (29-21/9) .

وذات الصورة نراها في قصة النبي إبراهيم وابنه الذبيح، فقد أمره الله بذبحه، ثم فداه بعجل سمين، فنسخ حكمه الأول بحكم آخر ارتأته حكمة الله وعنايته بالأبرار من عباده.

والناظر أيضاً في الأناجيل، يرى أن المسيح في مواطن أخرى تنبأ بنجاته، بل أعلنها على ملا اليهود، وتحداهم، وأخبر بأنه عليهم، وغلب العالم. فكما تشهد الأناجيل بصلب المسيح، فإنها تنقل - على استحياء - عن المسيح شهادته بنجاته، وقد تجاهل النصارى هذه الروايات، ولم يلتفتوا إليها. ولكن الحقيقة تكمن في أن خبر تنبؤ المسيح بقتله أو صلبه، قول دخيل على الأناجيل، ملحق بها، والأدلة على ذلك تتضح باستقراء عدد من الملاحظات، ومنها:

- أن العبارة في متى وردت بلا مقدمة، ولا مناسبة، ولا تعليق عليها من قبل الحواريين، حتى وكأنها تتحدث عن حدث عادي، فليئن صحت، دل ذلك على أن ابن الإنسان المصلوب المسلم لأيدي الخطاة، هو غير المسيح.
- تتحدث المواضع الأربعة - التي ذكرت تنبؤه بالموت - عن تسليم ابن الإنسان، وقتله أو صلبه، ولا تنص على عيسى، لكن اللفظ - وإن تبادر في الذهن إلى المسيح - فإنه يصح أن يطلق على غيره، بدليل أنهم سألوه عن ابن الإنسان من هو بقولهم: "كيف تقول أنت إنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان؟ من هو هذا ابن الإنسان؟" (يوحنا 12/34) ولو كان هذا اللقب بالمسيح خاصاً لما كان في سؤالهم وجه.
- يقترن وصف الأناجيل الثلاثة لردة فعل التلاميذ حيال هذا الخبر بكثير من الغرابة، ففي متى (26/1 - 2) لم يذكر لهم حساً ولا خيراً، بيد أنه في (متى 26/23) ذكر بأنهم " حزنوا جداً"، ويفهم منه أنهم فهموا مراده فحزنوا، لكن مرقس يقول: " وأما هم فلم يفهموا القول، وخافوا أن يسألوه " (مرقس 9/32)، ويؤكد لوقا هذا بقوله: " وأما هم فلم يفهموا من ذلك شيئاً، وكان هذا الأمر مخفياً عنهم، ولم يعلموا ما قيل ".
- وإضافة إلى تناقض النصوص، فإن في خوف التلاميذ

من المسيح وترددهم في سؤاله ما يدعو للعجب، فقد عرف عليه الصلاة والسلام بدمائة خلقه، وبتحبه لهم، حتى إنه غسل أرجلهم، وكثيراً ما كانوا يسألوه، فلم لم يسألونه في هذا الأمر الخطير؟

• ذكر الإنجيليون الثلاثة الذين ذكروا الخبر بأن المسيح سيقوم في اليوم الثالث (انظر متى 17/23، مرقس 9/32، لوقا 18/33)، وهذا لم يحصل، بل مكث ما لا يزيد بحال عن ليلتين ويوم.

• ومما يدل على عدم صحة التنبؤ بالصلب والقتل: فرار التلاميذ، وفيهم بطرس الذي قال له المسيح: " طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك، وأنت متى رجعت ثبت إخوتك، فقال له: يا رب، إني مستعد أن أمضي معك، حتى إلى السجن، وإلى الموت " (لوقا 22/32 - 34)، فدل هذا على معرفتهم بأن المأخوذ غيره، كما قد عرفوا ذلك فهربوا، وقد قال عنهم المسيح: " الذين أعطيتني حفظتهم، ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك " (يوحنا 17/12).

ثم بعد ذلك ولأن أمر المصلوب لا يهمهم وقد عرفوا بنجاة سيدهم لم يهتموا بمتابعة المصلوب وهو على الصليب، أو في أثناء المحاكمة، إلا ما جاء عن بطرس ويوحنا وبعض النسوة.

كما تذكر الأناجيل دليلاً آخر على عدم صحة هذه النبوءات عن صلب المسيح، بل تدلل على أن المسيح تنبأ بنجاته، وفهم التلاميذ منه ذلك، وقد أشكل عليهم رؤيتهم للمأخوذ وقد قبض عليه، وظنوه المسيح، فوقعوا فيما حذرهم منه المسيح، وهو ما ذكره مرقس في إنجيله، من أن المسيح قال لتلاميذه: " كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة " (مرقس 14/27).

ولا تذكر الأناجيل شيئاً عن شك التلاميذ، سوى ما ذكرته عن بطرس الذي أنكر المأخوذ ثلاث مرات ليلة المحاكمة، وأما الآخرون فصمت مطبق، فكيف شك التلاميذ؟

يجب العلامة أحمد عبد الوهاب بأن الشك هو تراجع داخل النفس، ويستشهد لتفسيره بما جاء في غير الترجمة العربية، فالنص في التراجم الأخرى تعريبه هكذا: " كلكم ترتدون عن عقيدتكم وتزلون " .

ويفرق بين الإنكار والشك، فالشك عمل قلبي، والإنكار: قد ينكر الإنسان بلسانه ما يعتقد في قلبه، والذي وقع من التلاميذ شك لا إنكار. فلقد آمن التلاميذ بالمسيح، وصدقوه فيما تنبأ به، فإذا رأوا ما اعتبروه مخالفاً لنبوءاته، فسوف يحصل منهم الشك، والردة عن العقيدة.

ويورد هنا أحمد عبد الوهاب احتمالين:
الأول: أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه بأن مؤامرة ستدبر ضده، وستحدث له المأ ومعاناة، إلا أنها ستفشل، وسينقذه الله من القتل، كما في قوله: " ستطلبونني ولا تجدونني ". وهذا الذي حصل ولم يشاهده التلاميذ، بل هم قد رأوا ما حسبوه وظنوه نقيضه، فقد رأوا المسيح مأخوذاً مصلوباً، فوقعوا في الشك فيه، لأن كلامه لم يتحقق..

والثاني: أن المسيح تنبأ بأن المؤامرة ستنتهي بقتله، وليس هناك ما يدعو للشك والارتياب حسب هذه الصورة، سواء تحقق قوله أم لم يتحقق، إذ تحققه تصديق لقوله، وتخلفه إكرام من الله له وحفظ ورعاية.
وهذا الافتراض يدحضه العود إلي لحظة القبض على المسيح، حيث نجد أن التلاميذ جميعاً قد هربوا، وتركوا المسيح وحده. ويبدو هنا شكهم واضحاً، لقد حصل ما لم يتوقعوه - فيما يظهر لهم -، وما لم يتنبأ به المسيح. فلئن كان أخبرهم بأن سيُقبض عليه وسيقتل، فليس ثمة ما يثير الشك، وإن كان الاحتمال الأول بأنه سينجو، وأن المؤامرة ستفشل، ولكنهم يجدونه - فيما يظهر لهم - قد قبض عليه، ولم تتحقق نبوءته، فحينئذ وقعوا في الشك.

فالنصاري أمام خيارين:

الأول: نفي الشك عن التلاميذ وتكذيب المسيح.

الثاني: التسليم بأن الأناجيل تذكر نبوءات غير صحيحة تنسبها للمسيح.

فإن رفضهما فليس لهم إلا أن يصدقوا بفشل

المؤامرة، ونجاة المسيح من الصلب.

إذاً فلقد تحقق الشك، حين حسبوا المسيح هو المأخوذ والمصلوب، وقد كان أخبرهم بنجاته، كما قد سمعوا منه مراراً، كما سيأتي تفصيله.

وأما سيء الذكر في الأناجيل - بطرس-، فإنه الوحيد من بين التلاميذ الذي ذكر أصحاب الأناجيل شكه، ويتمثل شكه عند النصارى في تنكره للمسيح، قبل أن يصيح الديك صباح تلك الليلة مرة أو مرتين على خلاف بين متى ومرقس.

لكن أحمد عبد الوهاب يفرق مرة أخرى بين الشك والإنكار، فما حصل من بطرس في القصة الإنجيلية هو إنكار، وليس بشك، فقد ينكر الإنسان بلسانه ما يعتقد به بقلبه، لكن ما وقع فيه بطرس كان شكاً كذاك الذي وقع فيه التلاميذ، لقد سمع من المسيح تنبأه بنجاته، فإذا به يصحو من نومه في البستان، ويراه مأخوذاً، كما خيل له، فوقع منه الشك في المسيح، ثم الإنكار له في مجمع الظلمة.

تنبوءات العهد الجديد بنجاة المسيح

إن خبر تنبؤ المسيح بقتله وصلبه، معارض بنصوص كثيرة، أخبر المسيح فيها بنجاته، ومنها قوله حسب ما جاء في يوحنا: " فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداماً ليمسكوه، فقال لهم يسوع: أنا معكم زماناً يسيراً بعد، ثم أمضي إلى الذي أرسلني، ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرُونَ أنتم أن تأتوا " فمتى حقق المسيح هذه النبوءة؟ متى بحث عنه اليهود فلم يجدوه؟ إنه يوم جاءوا للقبض عليه، فنجاه الله وأخذه إلى المكان الذي لا يقدرُونَ عليه، إلى السماوات العلاء.

وقد فهم منه اليهود أنه أراد نجاته منهم " فقال اليهود فيما بينهم: إلى أين هذا مزمع أن يذهب حتى لا نجده نحن؟ أعله مزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين، ويعلم اليونانيين؟ ما هذا القول الذي قال: ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرُونَ أنتم أن تأتوا؟" (يوحنا 7/32 - 36).

ومرة أخرى، جاهر المسيح بنجاته منهم قائلاً: " أعلم من أين أتيت، وإلى أين أذهب، وأما أنتم، فلا تعلمون من أين آتي، ولا إلى أين أذهب ... قال لهم يسوع أيضاً: أنا أمضي، وستطلبونني وتموتون في خطيتكم، حيث أمضي أنا، لا تقدرُونَ أنتم أن تأتوا. فقال اليهود: أعله يقتل نفسه حتى يقول: حيث أمضي أنا لا تقدرُونَ أنتم أن

تأتوا. فقال لهم: أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق، أنتم من هذا العالم ...

فقال لهم يسوع: متى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون إنني أنا هو، وليست أفعل شيئاً من نفسي، بل أتكلم بهذا كما علمني أبي، والذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الأب وحدي، لأنني في كل حين أفعل ما يرضيه " (يوحنا 8/21 - 29).

ثم مرة أخرى، لما أعطى يهوذا اللقمة قال لتلاميذه: " يا أولادي أنا معكم زماناً قليلاً بعد، ستطلبونني، وكما قلت لليهود: حيث أذهب أنا لا تقدر أن تأتي، أقول لكم أنتم الآن قال له سمعان بطرس: يا سيد، إلى أين تذهب، أجابه يسوع: حيث أذهب لا تقدر الآن أن تتبعني، ولكنك ستتبعني أخيراً " (يوحنا 13/32 - 36)، ولا يمكن أن يكون مقصوده الموت، فإنه مقدر لكل أحد. ومنها أيضاً قول المصلوب (يهوذا) وهو في المحاكمة: " من الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله " (لوقا 22/69) فقد رأى يهوذا نجاته من قبل، وما شاهد من نجاته من المسيح عن نجاته، وهو يخبر أنه في تلك اللحظة، المسيح في السماء، وقد رفع بقوة الله. وقد رأى المحققون في هذه النصوص نبوءة واضحة بنجاته المسيح عليه السلام من يد أعدائه، وأنه سيرفع للسماء، فهو المكان الذي لا يقدر أن عليه، ولو كان مقصده الموت، فإن ذلك أمر يطيقه كل أحد، كما أن أحداً لا يتحدى بأنه سيموت وهم لن يستطيعوه.

لقد كان المسيح يتحدى أعداءه وهو يقول: " هوذا بيتكم، يترك لكم خراباً، لأنني أقول لكم: إنكم لا ترونني من الآن، حتى تقولوا: مبارك الآتي باسم الرب " (متى 23/28 - 29).

ومن النصوص التي تحدثت أيضاً عن نجاته المسيح قوله: " هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن، تتفرقون فيها، كل واحد إلى خاصته، وتتركونني وحدي، وأنا لست وحدي، لأن الأب معي، قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام، في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم " (يوحنا 16/32 - 33)، وهكذا كان، فقد هربوا جميعاً وتركوه، لكن الله معه، لذا يطلب منهم أن يثقوا أنه غلب

العالم، وأن يثقوا أنه في سلام، فأين هذا من القول بصفع المسيح وصلبه وضربه؟
ومن النصوص الدالة أيضاً على نجاته المسيح قول يوحنا: " من عند الله خرج، وإلى الله يمضي " (يوحنا 13/3) ولو كان المقصود الموت، فكل الناس إلى الله تمضي، والقول بأن مضيته إنما يكون بعد الدفن ثلاثاً، يحتاج لدليل يثبت ذلك.

ومن النصوص الدالة أيضاً على نجاته المسيح ما جاء في متى " فقال لهم يسوع: هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا مادام العريس معهم ؛ ولكن ستأتي أيام، حين يرفع العريس عنهم، فحينئذ يصومون " (متى 9/15)، ومقصده رفعه للسماء.

ولئن كان بولس قد تولى كبر القول بصلب المسيح، فإن الحق يراه المتبصر في فلتات لسانه، فيجد ما يدل على نجاته المسيح من الصلب. ومن ذلك قوله في وصف ملكي صادق: " لأن ملكي صادق هذا ملك ساليم، كاهن الله العلي .. بلا أب، وبلا أم، بلا نسب، لا بداءة أيام له، ولا نهاية حياة، بل هو مثبته بابن الله، هذا يبقى إلى الأبد " (عبرانيين 7/1 - 3) فيفهم من قوله بولس هذا، أن ليس للمسيح نهاية أرضية سابقة، كما هو الحال في ملكي صادق!

ومن ذلك أيضاً: أن في أقوال بولس ما يجعل حادثة الصلب قضية غير مسلم أنها حصلت للمسيح، ويُرى ذلك بالإمعان في هذه الأقوال، يقول بولس: "أما نحن فنكرز بالمسيح مصلوباً، شكراً لليهود، وجهالة للأمم " (كورنثوس (1) 1 / 23).

لكن يبقى أظهر أدلة نجاته المسيح ما قاله بولس عن المسيح: " في أيام بشريته قُرب تضرعات واستغاثات، وصراخ شديد، ودموع ذوارف للقادر، الذي بوسعه أن يخلصه من الموت، فاستجاب له من أجل تقواه " (عبرانيين 5/7).

فهذا النص، شهادة ناطقة، بأن الله استجاب للمسيح تضرعه في تلك الليلة التي قضاه في بستان جثماني، وصرف عنه ما كان يحذره ويخافه من الصلب والبلاء، وهذا ما تيقنه المسيح من ربه " أيها الآب أشكرك، لأنك سمعت لي، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي " (يوحنا 11/40-41).

ولنا أن نتساءل عن تضرع المسيح ودعائه وطلبه صرف الصليب عنه، هل كان المسيح يجهل أنه سيصلب، وإذا كان يعلم أنه سيصلب فما فائدة هذا الدعاء والتضرع؟ فقيام المسيح بالدعاء دليل على ثقته بأن الله سيستجيب له. ثم لا يليق أن يقال بأن الله رد المسيح خائباً بعد هذا التضرع والدعاء، فمثل هذا لا يحصل إلا مع عصاة العباد الذين لا يستحقون رحمة الله ومحبته.

فاستجابة الله للأنبياء والصالحين حال دعائهم أمر مشهود، فقد وعد رسله بالنجاة؛ كما في رسالة يعقوب " صلاة الإيمان تشفي المريض، والرب يقيمه ... طلبه البار تقتدر كثيراً في فعلها، كان إيليا إنساناً تحت الآلام، ومثلنا صلى صلاة أن لا تمطر، فلم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر، ثم صلى أيضاً، فأعطت السماء مطراً، وأخرجت الأرض ثمرها " (يعقوب 5/15 - 18). وقد استجاب الله عز وجل لإبراهيم لما أمره بذبح ابنه، فامتثل لأمر الله، فأنجى الله ابنه واستجاب له طلبه. ويؤكد العلامة ديدات على قرينة وحدة أفعال الله، لإبطال صلب المسيح والحكم بنجاته، فقد نجى الله النبي دانيال، وإبراهيم، والفتية الثلاثة الذين ألقوا في النار. أما نجاة إبراهيم، فقد ذكرت في قوله تعالى

﴿ وَإِذْ يَبْرَأُ الْوَحْيِيُّ إِبرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِرَبِّهِ رَبِّكَ إِنِّي قَدْ جَاءنَا الْوَحْيُ وَإِنِّي أَنبِئُكَ بِرَبِّكَ أَنَّكَ كَذِبٌ سَافِهٌ ﴿١١١﴾ وَإِذْ يَبْرَأُ الْوَحْيِيُّ إِبرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِرَبِّهِ رَبِّكَ إِنِّي قَدْ جَاءنَا الْوَحْيُ وَإِنِّي أَنبِئُكَ بِرَبِّكَ أَنَّكَ كَذِبٌ سَافِهٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١١١ - ١١٢).

﴿ وَإِذْ يَبْرَأُ الْوَحْيِيُّ إِبرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِرَبِّهِ رَبِّكَ إِنِّي قَدْ جَاءنَا الْوَحْيُ وَإِنِّي أَنبِئُكَ بِرَبِّكَ أَنَّكَ كَذِبٌ سَافِهٌ ﴿١١١﴾ وَإِذْ يَبْرَأُ الْوَحْيِيُّ إِبرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِرَبِّهِ رَبِّكَ إِنِّي قَدْ جَاءنَا الْوَحْيُ وَإِنِّي أَنبِئُكَ بِرَبِّكَ أَنَّكَ كَذِبٌ سَافِهٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١١١ - ١١٢).

﴿ وَإِذْ يَبْرَأُ الْوَحْيِيُّ إِبرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِرَبِّهِ رَبِّكَ إِنِّي قَدْ جَاءنَا الْوَحْيُ وَإِنِّي أَنبِئُكَ بِرَبِّكَ أَنَّكَ كَذِبٌ سَافِهٌ ﴿١١١﴾ وَإِذْ يَبْرَأُ الْوَحْيِيُّ إِبرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِرَبِّهِ رَبِّكَ إِنِّي قَدْ جَاءنَا الْوَحْيُ وَإِنِّي أَنبِئُكَ بِرَبِّكَ أَنَّكَ كَذِبٌ سَافِهٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١١١ - ١١٢).

﴿ وَإِذْ يَبْرَأُ الْوَحْيِيُّ إِبرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِرَبِّهِ رَبِّكَ إِنِّي قَدْ جَاءنَا الْوَحْيُ وَإِنِّي أَنبِئُكَ بِرَبِّكَ أَنَّكَ كَذِبٌ سَافِهٌ ﴿١١١﴾ وَإِذْ يَبْرَأُ الْوَحْيِيُّ إِبرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِرَبِّهِ رَبِّكَ إِنِّي قَدْ جَاءنَا الْوَحْيُ وَإِنِّي أَنبِئُكَ بِرَبِّكَ أَنَّكَ كَذِبٌ سَافِهٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١١١ - ١١٢).

﴿ وَإِذْ يَبْرَأُ الْوَحْيِيُّ إِبرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِرَبِّهِ رَبِّكَ إِنِّي قَدْ جَاءنَا الْوَحْيُ وَإِنِّي أَنبِئُكَ بِرَبِّكَ أَنَّكَ كَذِبٌ سَافِهٌ ﴿١١١﴾ وَإِذْ يَبْرَأُ الْوَحْيِيُّ إِبرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِرَبِّهِ رَبِّكَ إِنِّي قَدْ جَاءنَا الْوَحْيُ وَإِنِّي أَنبِئُكَ بِرَبِّكَ أَنَّكَ كَذِبٌ سَافِهٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١١١ - ١١٢).

الذين لم يصدقوا به، بل جاء في إنجيل برنابا، وما وجد في مخطوطات نجع حمادي في مصر؛ حيث كشف بعد الحرب العالمية الثانية عن ثلاثة وخمسين نصاً، تقع في ألف ومائة وثلاثة وخمسين صفحة، ومن هذه النصوص ما تحدث عن نجاه المسيح، وأنه لم يصلب. ولم يرد في هذه المخطوطات أيُّ ذكرٍ لمحاكمة المسيح وصلبه، بل جاء في إنجيل بطرس على لسان بطرس: " رأيتهم يبدو كأنهم يمسكون به، وقلت: ما هذا الذي أراه يا سيد؟ هل هو أنت حقاً من يأخذون؟ أم أنهم يدقون قدميَّ ويديَّ شخصٍ آخر؟.. قال لي المخلص.. من يُدخلون المسامير في يديه وقدميه هو

تنبوءات الأناجيل المرفوضة عند الكنيسة بنجاه المسيح

ومما يؤكد ما ذهب إليه علماؤنا من نجاه المسيح وصلب غيره: ما جاء في إنجيل برنابا، وما وجد في مخطوطات نجع حمادي في مصر؛ حيث كشف بعد الحرب العالمية الثانية عن ثلاثة وخمسين نصاً، تقع في ألف ومائة وثلاثة وخمسين صفحة، ومن هذه النصوص ما تحدث عن نجاه المسيح، وأنه لم يصلب. ولم يرد في هذه المخطوطات أيُّ ذكرٍ لمحاكمة المسيح وصلبه، بل جاء في إنجيل بطرس على لسان بطرس: " رأيتهم يبدو كأنهم يمسكون به، وقلت: ما هذا الذي أراه يا سيد؟ هل هو أنت حقاً من يأخذون؟ أم أنهم يدقون قدميَّ ويديَّ شخصٍ آخر؟.. قال لي المخلص.. من يُدخلون المسامير في يديه وقدميه هو

البديل، فهم يضعون الذي بقي في شبهة في العار !
انظر إليّ، وانظر إليه .
وفي مخطوطة أخرى من هذه المخطوطات وهي كتاب
" سيت الأكبر " جاء على لسان المسيح " كان شخص آخر،
هو الذي شرب المرارة والخل، لم أكن أنا ... كان آخر
الذي حمل الصليب فوق كتفيه، كان آخر هو الذي وضعوا
تاج الشوك على رأسه. وكنت أنا مبتهجا في العُلا..
أضحك لجهلهم "

وفي مخطوطة " مقالة القيامة " ما يدل على أن
المسيح مات موتاً طبيعياً، وأن روحه المقدسة لا يمكن أن
تموت.

أما إنجيل برنابا، فيذكر قصة مقارنة لتلك القصة
الموجودة في الأناجيل، فيذكر أن المسيح دعا وتضرع في
البستان، وأنه كان معه تلاميذه الأحد عشر، وأن يهوذا جاء
مع الجند ليذلهم على مكان المسيح، مقابل ثلاثين من
الفضة، وأن التلاميذ كانوا نياماً، وأنهم هربوا لما
استيقظوا ورأوا الجند.

وكذا يذكر برنابا أن المأخوذ (يهوذا) قد أخذ إلى
رئيس الكهنة الذي سأله إن كان هو المسيح، وعرضه على
الوالي الذي كان يريد إطلاق سراحه، لقناعته ببراءة
المقبوض عليه، لكن الجموع رفضت ذلك.
وثمة نقاط صغيرة كثيرة أخرى تتشابه فيها رواية
برنابا والروايات الإنجيلية، لكن رواية برنابا تفتقر في
نقاط، أهمها:

0- أن المقبوض عليه هو يهوذا، الذي ألقى عليه شبه
المسيح.

- أن المسيح أخرجته الملائكة سالماً، وصعدت به إلى
السماء، وأنه عاد بعد ذلك واجتمع بتلاميذه، وأخبرهم
بحقيقة ما حصل، وبأنه نجا، وأن الذي دفنوه وصلبوه
وسرقوه هو يهوذا الإسخريوطي.

- أن الجسد المصلوب قد سرقه بعض التلاميذ من
القبر، وأشاعوا قيامة المسيح من القبر، ثم يختم بذكر
صعوده إلى السماء، بعد وداعه لأمه وتلاميذه.
ومما ذكره برنابا في قصته: " فاعلم يا برنابا أنه لأجل
هذا يجب عليّ التحفظ، وسيبيني أحد تلاميذي بثلاثين
قطعة نقود، وعليه فأنا على يقين من أن من يبيني
يقتل باسمي، لأن الله يصعدني في الأرض، وسيغير

منظر الخائن، حتى يظنه كل أحد إياي، ومع ذلك لما يموت شر ميتة؛ أمكث في ذلك العار زمنًا طويلاً في العالم، ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس، تزال عني هذه الوصمة، وسيفعل الله هذا، لأنني اعترفت بحقيقة مسيّا، الذي سيعطيني هذا الجزاء، أي أن أعرف أنني حي، وأني بريء من وصمة تلك الميتة.

فأجاب من يكتب: يا معلم. قل لي من هو ذلك التعيس؟ لأنني وددت لو أميته خنقاً. أجابه يسوع: صه، فإن الله هكذا يريد، فهو لا يقدر أن يفعل غير ذلك، ولكنني متى حلت هذه النازلة بأمي، فقل لها الحق، لكي تتعزى

...

وخرج يسوع من البيت، ومال إلى البستان ليصلي، فجتا على ركبتيه مائة مرة معفراً وجهه كعادته في الصلاة ... ولما دنت الجنود مع يهوذا في المحل الذي كان فيه يسوع سُمع دنو جم غفير، فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً، وكان الأحد عشر نياماً، فلما رأى الله الخطر على عبده، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم، فجاء الملائكة الأطهار، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب، فحملوه، ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد.

"ودخل يهوذا إلى الغرفة. دخل يهوذا مندفعاً أمام جميع من كانوا معه إلى الحجرة التي كان فيها عيسى، ثم رفع منها إلى السماء، بينما كان التلاميذ نياماً، على أن الله العظيم القادر على كل شيء، تصرف تصرفاً عجيباً، فحول يهوذا إلى صورة عيسى وهيئته وصوته وأسلوب حديثه تماماً، حتى اعتقدنا أنه عيسى، ولما استيقظنا من النوم كان يدور ليعرف مكان المعلم، أما نحن فعجبنا للأمر، فقلنا له: إنك أنت معلمنا ومولانا، هل نسيتنا؟ فضحك يهوذا، وقال: إنكم لحمي ألا تعرفونني؟ أنا يهوذا الأسخريوطي، وفي هذه اللحظة دخل الجنود، ووضعوا أيديهم على يهوذا، فقد كان صورة طبق الأصل لعيسى.

ولما سمعنا نحن قول يهوذا، ورأينا كتائب الجنود هربنا واختفينا، كان يوحنا يلتف بقماش من التيل، فاستيقظ وهرب، ولما أمسك أحد الجنود بقطعة القماش، تركها له، وفر هارباً عاري الجسد، إذ كان الله قد سمع دعوة

عيسى، وبالفعل نجا التلاميذ الأحد عشر من كل شر " (برنابا 1/214 - 13/216).

ثم لما رجع يسوع عليه السلام من السماء لوداع أمه " وبخ كثيرين من الذين اعتقدوا أنه مات، وقام قائلاً: أتحتسبونني أنا والله كاذبين، لأن الله وهبني أن أعيش حتى قبيل انقضاء العالم، كما قد قلت لكم، الحق أقول لكم: إنني لم أمت، بل يهوذا الخائن. احذروا، لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم ... وبعد أن انطلق يسوع تفرق التلاميذ في أنحاء إسرائيل والعالم المختلفة.

أما الحق المكروه في الشيطان فقد اضطهده الباطل كما هي الحال دائماً، فإن فريقاً من الأشرار المدعين أنهم تلاميذ بشروا بأن يسوع مات ولن يقوم، وآخرون بشروا بأنه مات بالحقيقة ثم قام، وآخرون بشروا ولا يزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله، وقد خدع في عداهم بولس.

أما نحن فإنما نبشر - بما كتبت - الذين يخافون الله، ليخلصوا في اليوم الأخير لدينونة الله " (برنابا 15/221 - 6/222).

وهكذا نجد الأدلة الإنجيلية تتوالى، وهي تصرح بوضوح تام بنجاة المسيح من كيد أعدائه، فما على النصارى إلا الإذعان لهذه النصوص والقول بنجاة المسيح من الصليب. وهكذا نرى الحقيقة بادية ووضوح الشمس في رابعة النهار، نطقت بها النبوات نبياً بعد نبي في جلاء ووضوح عجيب.

ويتساءل المرء: لِمَ لَمْ يتوصل النصارى إلى هذه الحقيقة الجلية ؟

وفي الإجابة عن هذا السؤال يرى منصور حسين أن الطريقة الخاطئة والمغلوبة التي يفكر بها النصارى، هي التي حجت شمس الحقيقة عنهم. وكمثال لطريقتهم في التفكير، ينقل عن الدكتور ر.أ. ترى في كتابه " كيف تدرس الكتاب المقدس " .

فقد وضع الدكتور النصراني شروطاً ينبغي أن يتحلى بها قارئ الكتاب المقدس، ليحصل على أكبر قدر من الفائدة فمن هذه الشروط: أن يكون القارئ مولوداً ولادة ثانية (مسيحياً)، وأن يكون محباً للكتاب المقدس، وعنده استعداد للكد والجد في دراسته.....

ويتوقف منصور حسين مع شرطين مهمين:
أولهما: أن يكون عند الدارس " إرادة مسلمة تسليماً
كاملاً.... "

وثانيهما: " أن ندرسه باعتباره كلمة الله "
فيرى الأستاذ منصور حسين أن هذين الشرطين
يفرضان على قارئ الكتاب المقدس التسليم والإيمان
بأن ما يقرأه هو وحي الله، الذي لا شك فيه ولا لبس،
مهما ظهر فيه من التناقض، والخطأ، والتعارض مع
المعتقدات النصرانية.

فمثلاً: عندما يقرأ النصراني في المزمور قوله: " أما
أنا فدودة لا إنسان، عار عند البشر " (المزمور 22/6) يجد
أنه من غير المنطقي أن يكون هذا عن المسيح، لكنه
يسلم لمشية مؤلفي العهد الجديد، فيقول بأنه نبوءة عن
المسيح رغم استحالتها بحقه.

ويفعل الشيء نفسه، وهو يقرأ " الرب مخلص مسيحه
" (المزمور 20/6) وهكذا فهم يضعون النتائج أولاً، ثم
يقرؤون الكتاب المقدس.

وهكذا، فإن المتأمل لهذين الشرطين " ليكاد يقطع
بأن واضعهما يعرف - بيقين - أن لو أطلقت للباحث حرية
البحث عن الحقيقة وحدها، فإنه سينتهي من العهد
القديم إلى ما يخالف ما جاء به العهد الجديد (من حديث
عن صلب المسيح)، فيصل إلى أن الله مخلص مسيحه،
ورافعه إليه، وأن الذي سيقبض عليه ويحاكم ويصلب هو
يهودا " .

كيفية نجاة المسيح من المؤامرة

وإذا كانت الأدلة قد شهدت للمسيح بالنجاة، وأن مؤامرة الأشرار لن تلحق به الأذى، فنجا المسيح من الموت على الصليب الذي أراده له أعداؤه. فإن هناك سؤالاً يطرح نفسه: كيف نجا المسيح؟ وكما أسلفنا فإن القرآن والسنة النبوية لا يذكران كيفية نجاة المسيح، وكل ما ذكره القرآن أن الله شبه عليهم غير المسيح، فأخذوه وليس لهم به علم يقيني. لذا نعود إلى قصة الأناجيل وهي تتحدث عن الصلب المزعوم، لنرى كيف نجا المسيح؛ ولا بد لنا هنا من قراءة ما بين سطور القصة الإنجيلية، لتلمس الحقيقة التي يصرح الإنجيليون بخلافها.

وبداية نذكر أن المسلمين لا يرون أي ضير في القول بالكثير من التفصيلات التي أوردتها الأناجيل، وإن كنا نشك في حصول بعضها، لكن نقبلها تنزلاً مع محاورينا من النصارى، ومنها:

- 1) أن المسيح خرج إلى البستان برفقة تلاميذه، وأنه أخبرهم بأنه سيتعرض لمؤامرة من أحد التلاميذ مع اليهود الذين يريدون صلبه.
- 2) أن المسيح دعا في تلك الليلة طويلاً، وبإلحاح كبير طالباً من الله أن يصرف عنه كأس الموت.
- 3) أن المسيح استسلم لقضاء الله وقدره، فقال: " ليس كما أريد أنه بل كما تريد أنت " (متى 26/39) وقال: " فلتكن مشيئتك (متى 26/41) .
- 4) المسيح يصلي، والتلاميذ نيام، ويحاول إيقاظهم مرة بعد مرة.

5) وصل يهوذا الأسخريوطي الخائن، ومعه الجند، يحملون مشاعل وسيوفاً وعصياً، للقبض على المسيح، وقد جعل يهوذا علامة للجند أن يقبل المسيح.

6) وصلت الجموع؛ فخرج إليهم المسيح، وقال: من تطلبون؟ فأجابوه: يسوع الناصري. فقال المسيح " أنا هو " فلما قال لهم: إني أنا هو، رجعوا إلى الوراء، وسقطوا على الأرض " (يوحنا 18/6) .

7) حاول بطرس الدفاع، لكنه كان أعجز من ذلك، فهرب وجميع التلاميذ.

- 8) اقتيد المأخوذ (وهو غير المسيح) للمحاكمة عند رئيس الكهنة، ثم بيلاطس، وبطرس يتابعه في بعض ذلك، وقد أنكره تلك الليلة ثلاث مرات.
- 9) في المحاكمة سأل رئيس الكهنة، واستحلف المأخوذ إن كان هو المسيح، فأجابه: " أنت قلت، وأيضاً أقول لكم: من الآن، تبصرون ابن الإنسان جالساً يمين القوة، وأتياً على سحاب السماء " (متى 26/64).
- 10) حكمت المحكمة على المأخوذ بالقتل، واقتيد إلى بلاط بيلاطس الذي سأله: إن كان هو ملك اليهود، فأجابه: " أنت تقول "، ثم لم يجبه بكلمة واحدة، حتى تعجب بيلاطس منه.
- 11) لم يجد الوالي للمأخوذ علة في المقبوض عليه يستحق عليها القتل، فأراد أن يطلقه، لكن الجموع أصرت على صلبه، وإطلاق باراباس، فأعلن براءته من دم هذا البار، وأسلمه لهم.
- 12) اقتيد المأخوذ إلى موضع الصلب، وصلب بجوار لصين.
- 13) صرخ المصلوب على الصليب، فسقوه خلاً، ثم أسلم الروح.
- ويفترق المسلمون عن الأناجيل في مسألة مهمة، وهي من هو المأخوذ من ساحة القبض على المسيح؟ فيراه المسلمون يهوذا الأسخريوطي، التلميذ الخائن، ويلزمنا إقامة الدليل على ذلك، إذ هي موضع النزاع، وقد كنا قد أقمنا الأدلة على ذلك من سفر المزامير.
- ولتصور القول بأن يهوذا هو المأخوذ، وأنه حصل التباس عند أخذه، فإننا نتصور الجموع الكثيرة والتي تقارب الألف وهي تسير، تحمل المشاعل والسيوف والعصي، وتتكون من جنود وغوغاء يتقدمهم يهوذا.
- ولما وصل الجمع إلى المسيح كان التلاميذ نياماً، وقد حاول المسيح إيقاظهم مراراً فلم يستطع، برغم أن الموقف كان صعباً، فقد كانت عيونهم ثقيلة، واقتربت الجموع من المسيح يتقدمهم يهوذا، والتلاميذ نياماً " فلما قال لهم: إني أنا هو، رجعوا إلى الوراء، وسقطوا على الأرض " (يوحنا 6/18).
- وهنا نتوقف ملياً، لنقرأ ما غفلت عن ذكره السطور.

فما فائدة سقوطهم على الأرض؟ وما الذي أسقطهم؟ وماذا أفاد المسيح سقوطهم، إذا كانوا سيقبضون عليه بعدها؛ ولم لَمْ يتكرر السقوط عندما أرادوا أخذه بعدها؟ ولنحاول أكثر أن نتصور ما حدث في تلك اللحظة، فقد اقترب يهوذا لتقبيل المسيح كعلامة للجند على أنه المطلوب، وفي تلك اللحظة اقترب الجند، حملة المشاعل والسيوف للقبض على المسيح، فتدخلت قدرة الله العظيم - كما ذكر يوحنا-، فسقطوا على الأرض، بعد أن رجعوا للوراء. ولك أن تتخيل ما حصل، من هرج، وتدافع، من جراء سقوط مقدمة هذه الجموع التي تحمل المشاعل، والتي هي فقط تنير لها ظلمة الليل البهيم. بعد ذلك الاضطراب والفوضى قام الساقطون من الأرض، وأفاقوا من ذهولهم لما حصل لهم، ورأوا يهوذا وحده مبهوراً أصابه الدهول، وقد رأى المسيح يرفع للسماء، وقد ألقى الله عليه الكثير من شبه المسيح، ولكن من سيتوقع أن هذا المذهول هو يهوذا، ومن الذي يعرفه وقتذاك؟

فكانت لحظة وقوع الجند: لحظة الخلاص كما وصفتها المزامير " الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه ... هم جثوا وسقطوا، أما نحن فقمنا وانتصبنا " (المزمور 20/8).

وفي مزمور آخر: " أما أنت فتبارك، قاموا وخزوا " (المزمور 109/28).

وفي مزمور آخر تسجل تلك اللحظة الخالدة: " حينئذ ترد أعدائي إلى الوراء " (المزمور 56/9) و " ليرتد إلى خلف، ويخجل المشتبهون لي شراً " (المزمور 70/2). و " عندما اقترب إلي الأشرار ليأكلوا لحمي، ومضايقي وأعدائي عثروا وسقطوا " (المزمور 27/2) وغيرها. بعدها حُمل يهوذا إلى المحاكمة وإلى ديوان بيلاطس، والشك في حقيقة شخصه يلاحقه في كل هذه الخطوات، فقد شك فيه رئيس الكهنة، وكانت إجاباته لبيلاطس وهيرودس تنبئ عن الدهول الذي أصابه، وعن عجزه عن بيان الحقيقة، التي لن يقنع أحداً إن ذكرها، فكان يجيبهم: " أنت تقول " (متى 27/11).

ولما اجتمع في النهار مشيخة الشعب، ورؤساء الكهنة، " وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين: إن كنت أنت المسيح، فقل لنا. فقال لهم: إن قلت لكم لا تصدقون، وإن سألت

لا تجيوني ولا تطلقوني. منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله. فقال الجميع: أفأنت ابن الله؟ فقال لهم: أنتم تقولون: إني أنا هو " (يوحنا 22/66 - 70).

ولا يفسر هذه الإجابات الغريبة، بل وتلك الأسئلة الغريبة من أناس كانوا يرون المسيح في كل يوم، لا يفسره إلا أن نقول بأن المآخوذ هو غير المسيح، وإن أشبهه، وهذا الشبه حير رؤساء الكهنة في حقيقة المآخوذ، فحاولوا استجلاء الحقيقة بسؤال المآخوذ، فلم ينكر ولم يثبت.

وأما يهوذا فقد عرف أن لا فائدة من إنكاره، إذ لن يصدقه أحد، ولربما ولفرط ندمه قد استسلم لرداه، ورضي بعقوبة الله له، أن يصلب عن المسيح، لعله بذلك أن يفديه، لذلك تكرر سكوته.

وهذا الموقف ليس بعيداً عن ذكرت الأناجيل أنه لفرط ندمه خنق نفسه، وانتحر.

لقد تحققت فيه نبوءات المزامير " وإذا حوكم فليخرج مذنباً ... ووظيفته ليأخذها آخر " (المزمور 109/6 - 8)، لقد أتى ليخطف المسيح، فلم يستطع.. " حينئذ رددت الذي لم أخطفه " (المزمور 69/4).

وقد يشكل هنا أن متى ذكر أن يهوذا مات مخنوقاً (انظر متى 27/2 - 5)، ويكفي في دفعه أن نتذكر ما ذكره سفر أعمال الرسل عن موته حين سقوطه وخروج أحشائه. (انظر أعمال 1/16 - 20)، وسبب وقوع الإنجيليين في هذا التناقض اختفاء يهوذا، فاخترع كل من متى ولوقا نهاية ليهوذا تليق بجريمته، فهذا التناقض بين الروايتين الإنجيليتين، مشعر بوجود نهاية حقيقية، خفيت على الكاتبين، ودفعتهما لاختلاق روايتيهما.

وقد يعترض معترض بذكر بعض الأحداث التي حصلت بعد وقوع الجموع، فقد ذكر الإنجيليون أن بطرس حمل السيف، وضرب أذن العبد فأمره المسيح برد السيف، لأن من ضرب بالسيف يؤخذ به، فهرب بطرس والتلاميذ. (انظر يوحنا 18/10 - 19)، وهذه القصة يجعلها يوحنا بعد حادثة تراجع الجند، ووقوعهم على الأرض.

ومثله ذكر يوحنا أيضاً بعد سقطتهم، أن المسيح سألهم: " من تريدون؟ فقالوا: يسوع الناصري. أجاب يسوع: قد قلت لكم إني أنا هو... ثم إن الجند والقائد

وخدام اليهود قبضوا على يسوع، وأوثقوه " (يوحنا 18/7 - 12) .

كما قد يعترض معترض بذكر ما انفرد به يوحنا، وهو حضور أم المسيح إلى ساحة الصلب، فيقول: لا يصح أن يخفى عليها حقيقة المصلوب، وأن ليس ابنها. لكن أمثال هذه النصوص التي لن يستطيع أحد أن يثبت وقوعها أو عصمة كتابها لكثرة ما رأينا من أخطائهم وتناقضاتهم، ولا تنهض مثل هذه الروايات في الرد على نبوءات المزامير والأنجيل، وإلحافها بتناقضات الأنجيل وأخطائها أولى.

وقد يعترض معترض على رفع المسيح ونجاته مستشهداً بروايات القيامة التي تشير إلى وجود أرضي للمسيح بعد حادثة الصلب، وهو اعتراض لا يعول عليه في مثل هذه المسألة لأنه بعض تلك الروايات المفككة، وهو على كل حال لا يتعارض مع نجاة المسيح من الصلب، بل نراه مؤكداً وشاهداً بها، فوجود المسيح يدل على أنه مازال حياً، وتخفيه من اليهود والرومان بصورة البستاني (انظر يوحنا 20/14 - 15)، وبهينات أخرى منعت التلاميذ مجتمعين من معرفة شخصه، (انظر لوقا 24/13 - 19، ويوحنا 21/1 - 7). وكل هذا دليل على نجاة المسيح من الموت، لا قيامته منه.

فلو كان المسيح قد قهر الموت لما خافه ثانية، ولما تخفى من اليهود، إذ الموت لا يتسلط عليه ثانية كما قال بولس في رسالته إلى العبرانيين: " وكما وضع للناس أن يموتوا مرة، ثم بعد ذلك الدينونة " (عبرانيين 9/27)، وفي رسالته إلى أهل رومية يقول: " نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه، عالمين أن المسيح بعد ما أقيم من الأموات لا يموت أيضاً، لا يسود عليه الموت بعد " (رومية 6/8 - 9)، وهكذا فلا مبرر لتخفيه إلا إذا كان قد نجى من الموت، ويخشى أن يفطن أعداؤه لنجاته، فيستدرکوا ما فاتهم.

وقد ذكر برنابا في إنجيله أن المسيح بعد نجاته وصعوده للسماء عاد ثانية لوداع أمه قبل أن يرفع من جديد (انظر برنابا 219)

ويقول برنابا، وقد كشف له المسيح عن الحقيقة بعد هلاك يهوذا: " يا معلم: إذا كان الله رحيمًا، فلماذا عذبنا بهذا المقدار، بما جعلنا نعتقد أنك كنت ميتًا؟ ولقد بكتك

أمك حتى أشرفت على الموت .. أجاب يسوع: ... فلَمَّا كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أني كنت بريئاً في العالم، أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا، معتقدين أنني أنا الذي مت على الصليب، لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة، وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله، الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله " (برنابا 14 / 220 - 20).

وقد كان، فأخبر محمد صلى الله عليه وسلم بالحقيقة التي غابت عن النصارى طويلاً، وصدق الله وهو يقول: ﴿

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا يَفْتَكِرُ الْغَافِلِينَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُضَلُّونَ أُولَئِكَ يَرْفَعُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ

﴿

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا يَفْتَكِرُ الْغَافِلِينَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُضَلُّونَ أُولَئِكَ يَرْفَعُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ

﴾ (مائدة: 177-178).

إمكانية نجاة المسيح

كما تتحدث النصوص الإنجيلية عن بعض ما أوتيهِ المسيح عليه السلام من تأييد الله له، وهذه الأعاجيب التي أوتيها تجعل نجاته - في تلك الليلة في بستان جثسماني - ممكنة، وذلك لما منحه الله من قدرات مكنته مراراً من الإفلات من كيد اليهود، وهي ما تجعل نجاته يوم جاءوا للقبض عليه أمراً متوقفاً غير مستنكر ولا مستغرب.

بل الزعم يتمكن اليهود ووجد الرومان منه يشير سؤالاً كبيراً: أين اختفت هذه القدرات وتلك المعونة الإلهية له؟ هل أسلمه الله بعد طول حمايته وتأييده له، فتخلى عنه في أصعب الأيام وأضيقها.

فالمسيح - حسب ما ذكرت الأناجيل - قد أعطاه الله عز وجل قدرة على النجاة، والهروب من بين يدي أعدائه، فقد اختفى منهم أكثر من مرة لما أرادوا به شراً، فمن الطبيعي والمنطقي أن يهرب منهم يوم جاءوا للقبض عليه.

وأمثلة هذه القدرة الباهرة كثيرة منها: قول لوقا: "فامتلاً غضباً جميع الذين في المجمع حين سمعوا هذا، فقاموا وأخرجوه خارج المدينة، وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كان مدينتهم مبنية عليه، حتى يطرحوه إلى أسفل، أما هو فجاز في وسطهم، وانحدر إلى كفر ناحوم" (لوقا 4/28 - 31)، لقد أفلت من أيديهم بطريقة خارقة.

ولما كان في الهيكل، وكثر الجدل بينه وبين اليهود، هموا بقتله " فرفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فاخترق، وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى " (يوحنا 8/59).

وفي مرة أخرى جادلهم " فطلبوا أن يمسكوه، ولم يلق أحداً يداً عليه، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد، فأمن به كثيرون في الجمع، وقالوا: أعل المسيح متى جاء يعمل أكثر من هذه التي عملها هذا " (يوحنا 7/30 - 31)، وقول إنجيل يوحنا: " لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد " قول لا يلزمنا فإنه يؤمن بصلب المسيح، ويحاول أن يبرر اختفاء هذه الخاصية عند القبض على المسيح.

... :... .. " ..) .. .(

... .. " ..) .. .(... ..

... .. " ..) .. .(... ..

... .. " ..) .. .(... ..

بولس واختلاق قصة صلب المسيح

ويبقى السؤال موجهاً للمسلمين المنكرين لصلب
المسيح: من أين وردت على النصارى مقالة صلب
المسيح؟ وهل خفي عليهم حقيقة المصلوب؟ أم خفي
عليهم ذلك وقت الصلب، ثم كُشف لهم بعد ذلك لكنهم
استمرؤوا الباطل؟

وفي الإجابة عن هذا التساؤل نقول: إن الأناجيل
الأربعة مخطوطات قديمة، كتبها أشخاص في أوقات
مختلفة، حسب ما تناهى إلى مسامعهم من الروايات
الشفهية المتناقلة، وهم لم يدعوا لها الإلهام ولا
القدسية، فكتب كل حسب ما سمع، مناقضاً الآخرين، أو
موافقاً لهم.

ونجاة المسيح ورفع أمر خفي على الكثيرين من
معاصري المسيح، فظنوا أن المصلوب هو المسيح، إذ لم
يشاهد معجزة رفع المسيح إلا يهوذا الخائن، عندما أخذوه
في لحظة التسليم، وقد شبه عليهم، وهم في شك منه
كما تبين لنا قبل.

ويرى المحققون أن فكرة صلب المسيح هي بعض
مبتدعات بولس، الذي وجد في قصة الصلب القلب
النابض للمسيحية الجديدة التي أنشأها، والتي يؤكد عليها
بولس في رسائله ومنها قوله: "لأنني لم أعزم أن أعرف
شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً" (كورنثوس
1) (2/2).

وقد امتلأت رسائله بالتأكيد على صلب المسيح، مما
حدا بأرنست دي بوش الألماني للقول في كتابه: "
الإسلام: أي المسيحية الحقبة " : " إن جميع ما يختص
بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات
بولس ومن شابهه، من الذين لم يروا المسيح، وليست
من أصول النصرانية الحقبة " .

وقد استغل بولس الاضطراب الذي حصل في حقيقة
ما جرى للمسيح، بين قائل بأنه صلب، أو أن المصلوب
غيره، أو سوى ذلك مما أشيع في تلك الأيام.. ووظفه،
وجعله قاعدة لضلالته المسماة "الفداء".

ونعود لبولس لنتساءل عن موقف النصارى الأوائل من
دعواه صلب المسيح، التي كتبها الإنجيليون بعد وفاته،
وبالتأمل في رسائل بولس التي أكدت صلب المسيح
وأهمية هذا الحدث كمتعقد، نجد في طياتها موقف

الحواريين والأتباع الأوائل الراض لبدع بولس ومن ضمنها ولا ريب عقيدة الصلب.
فيرى أحمد عبد الوهاب هذا الموقف في قول بولس وشكواه في رسالته لتيموثاوس: " أنت تعلم هذا، أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني " (تيموثاوس (2) 1/15).

وفي رسالته لأهل غلاطية يشكو من أولئك الذين كذبوه " إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح، إلى إنجيل آخر، ليس هو آخر، غير أنه يوجد قوم يزعمونكم، ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح، ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما " (غلاطية 1/6 - 8).

ويقول بولس: " ولكن إن كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات، فكيف يقول قوم بينكم: أن ليس قيامة أموات؟ فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل كرازتنا، وباطل أيضاً إيمانكم " (كورنثوس (1) 15/13)، فالنص يتحدث عن إنكار بعض التلاميذ والمؤمنين لصلب المسيح أو على الأقل لقيامته من الأموات.

ويرى المحققون أن الحواريين ما كانوا يعرفون شيئاً عن صلب المسيح، بدليل خلو رسائلهم الموجودة في العهد الجديد من الحديث عن المسيح المصلوب.
يقول المؤرخ فوتيوس: إنه قرأ كتاباً يسمى " رحلة الرسل " في أخبار بطرس ويوحنا واندراوس وتوما وبولس، ومما قرأ فيه: " إن المسيح لم يصلب، ولكن صلب غيره، وقد ضحك بذلك من صالبيه " .

وتظهر المعارضة الصريحة لدعوى بولس صلب المسيح من الحواري " برنابا " في إنجيله الذي تتنكر له الكنيسة، وقد ذكر في مقدمته سبب تأليفه لهذا الإنجيل فيقول: " الذين ضل في عداهم أيضاً بولس، الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق، الذي رأيته وسمعتُه أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا، ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله، وعليه، فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه، لتخلصوا خلاصاً أبدياً " (برنابا مقدمة 7/ - 9) .

وكانت الفرق المسيحية المنكرة للصلب صدى لإنكار الحواريين على بولس كما قد سبق تفصيله.

كما تكشف لنا الكشوف الأثرية عن إنجيل اكتشف حديثاً في نجع حمادي منسوباً للحواري المقرب بطرس، ينكر فيه صلب المسيح، ويقول برفعه قبل إجراء الصلب. ويعترف النصارى من مفسري الأناجيل بحدة الخلاف لبولس وتلاميذه، في مسألة صلب المسيح، وأن هذا الخلاف دعا الإنجيليين إلى التأكيد على أن المسيح قد صلب كما قال بولس الذي سبقت رسائله الأناجيل الأربعة في تاريخ كتابته.

فنقل أصحاب الأناجيل فيما بين سطور الأناجيل الإنكار على بولس وتكذيب صلب المسيح، نقلوا ذلك حين كانوا يؤكدون على بعض التفاصيل والجزئيات التي قد يدخل منها منكمرو صلب المسيح، يقول مرقس: " ثم خرجوا به ليصلبوه، فسخروا رجلاً مجتازاً كان آتياً من الحقل، هو سمعان القيرواني أبو الكسندروس وروفس ليحمل صليبه " (مرقس 15/20 - 23).

يقول المفسر دنيس نينهام في تفسيره لمرقس: " يبدو أن الغرض من هذه الفقرة هو ضمان صحة القصة؛ التي تقول بأن سمعان قد حمل الصليب، وما من شك في أن أحد الأسباب في الحفاظ على هذه التفاصيل الشخصية في الإنجيل؛ كان الغرض منه تذكير القراء بأن لديهم مصدراً للمعلومات عن الصلب، جديراً بالثقة.. ولعل السبب في حذف هذه الرواية والخاصة بحمل سمعان القيرواني للصليب من إنجيل يوحنا، هو الادعاء؛ بأن سمعان قد حل محل يسوع، وصُلب بدلاً منه، ولا يزال سارياً في الدوائر الغنوسطية، التي كانت لها الشهرة فيما بعد ".

وهكذا نفهم سبب مخالفة يوحنا للأناجيل الثلاثة في مسألة " من حمل الصليب " فيقرر أنه المسيح، حمل صليبه بنفسه فيقول: " فأخذوا يسوع، ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة.. حيث صلبوه " (يوحنا 19/16 - 18).

وينبه جون فنتون شارح إنجيل متى إلى وقوع مثل هذا الفعل من متى، عندما عدّل ألفاظ مرقس وهو ينقل عنه في أحداث اللحظة التي بعد اقتسام الثياب والاقتراع عليها، حيث يقول مرقس: " وكانت الساعة الثالثة فصلبوه " (مرقس 15/25) لكن متى غير، فيقول بعدها: " ثم جلسوا يحرسونه هناك " (متى 27/36)،

فتكلم متى عن حراسة يسوع أثناء الصلب وبعده. ويرى
فنتون أن ذلك " إنما يرجع إلى وجود أناس قالوا بأن
يسوع قد أنزل من على الصليب، قبل أن يموت. كذلك
فإن إحدى الطوائف الغنوسية التي عاشت في القرن
الثاني قالت بأن سمعان القيرواني قد صُلب بدلاً من
يسوع. فلعل متى كان يرد على هذه الأقوال ".
.

قصة الصلب عند الأمم الوثنية

وبولس عندما ادعى صلب المسيح فداء للخطيئة لم يكن يتحدث من تأليفه وإبداعه، فإنه إنما يكرر عقيدة قديمة، تناقلتها الوثنيات قبل المسيح بزمن طويل. وقد نسج الإنجيليون أحداث صلب المسيح، على نحو ما قرره بولس، وعلى صورة ما ورد عن الأمم الوثنية القديمة، حتى أضحت قصة الصلب في الأناجيل قصة منحولة من قصص وأساطير الأمم الوثنية. ولعل أوضحها شبهاً بقصة المسيح أسطورة إله بابل " بعل " فقد كشفت لوحتان أثريتان تعودان للقرن التاسع قبل الميلاد عن قصة تشابه تماماً ما قاله النصارى في صلب المسيح ومحاكمته، ونقل " آرثر فندلاي " في كتابه " الكون المنشور " وغيره المقارنة بين ما قيل عن بعل قبل المسيحية وما قيل عن المسيح في المسيحية، ويوضح ذلك الجدول التالي:

محاكمة بعل	محاكمة عيسى عليه السلام
1 - أخذ بعل أسيراً.	1 - أخذ عيسى أسيراً.
2 - حوكم بعل علناً.	2 - وكذلك حوكم عيسى.
3 - جرح بعل بعد المحاكمة.	3 - اعتُدي على عيسى بعد المحاكمة.
4 - اقتيد بعل لتنفيذ الحكم على الجبل.	4 - اقتيد عيسى لصلبه على الجبل.
5 - كان مع بعل مذنب حكم عليه بالإعدام وجرت العادة أن يعفى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت. وقد طلب الشعب إعدام بعل، والعفو عن المذنب الآخر.	5 - وكان مع عيسى قاتل اسمه: " باراباس " محكوم عليه بالإعدام، ورشح بيلاطس عيسى ليعفو عنه كالعادة كل عام. ولكن اليهود طلبوا العفو عن " باراباس " وإعدام عيسى.
6 - بعد تنفيذ الحكم على بعل عم الظلام وانطلق الرعد، واضطرب الناس.	6 - عقب تنفيذ الحكم على عيسى زلزلت الأرض وغامت السماء.
7 - حُرس بعل في قبره حتى لا يسرق أتباعه جثمانه	7 - وحرس الجنود مقبرة عيسى حتى لا يسرق حواريوه جثمانه.

8 - الأمهات جلست حول مقبرة بعل بيكينه.
9 - قام بعل من الموت وعاد للحياة مع مطلع الربيع وصعد إلى السماء.

8 - مريم المجدلية، ومريم أخرى جلستا عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه.
9 - قام عيسى من مقبرته في يوم أحد، وفي مطلع الربيع أيضاً، وصعد إلى السماء.

وقد انتقلت هذه الأسطورة البابلية، عن طريق الأسرى اليهود الذين عادوا من بابل. وتتشابه كثير من تفاصيل قصة الصلب مع تفاصيل واردة في قصص وثنية مشابهة. فقد ذكر متى أحداثاً غريبة عدة، صاحبت موت المسيح حيث يقول: " وفي الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض، إلى الساعة التاسعة... وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت... " (متى 27/45 - 53).

وهذا نقله النصارى من الوثنيات القديمة، فقد نقل العلامة التنير عن عدد من المؤرخين إجماعهم على انتشار هذه الغرائب حال موت المخلصين لهذه الأمم. من ذلك: أن الهنود يقولون: " لما مات "كرشنا" مخلصهم على الصليب، حدثت في الكون مصائب جمّة، وعلامات متنوعة، وأحاطت بالقمر دائرة سوداء، وأظلمت الشمس عند منتصف النهار، وأمطرت السماء ناراً ورماداً..... " .

ويقول عباد بروسوس " إنه لما صلب على جبل قوقاس، اهتزت الكائنات، وزلزلت الأرض ".
" والاعتقاد بحدوث أحداث سماوية عظيمة عند موت أحد العظماء أو ولادته، معروف عند الرومان واليونان. كما ينقل المؤرخ "كنون فرار" في كتابه " حياة المسيح "، وينقل جيبون في تاريخه أن عدداً من الشعراء والمؤرخين الوثنيين كان يقول: " لما قتل المخلص اسكولا بيوس، أظلمت الشمس، واختبأت الطيور في أوكارها... لأن شافي أمراضهم وأوجاعهم فارق هذه الدنيا ".

والقول بظلمة الشمس عند موت أحد المخلصين قيل عند مقتل هيركلوس وبيوس وكوتر لكوتل وكيبير ينوس

إله الرومان، وعليه، فهو أسطورة قديمة تداولتها الأمم، ونقلها أصحاب الأناجيل من تلك الوثنيات. وقد كان عباد الشمس يقدمون الضحايا لها، خاصة عند حلول الكسوف، فإذا زال الكسوف اعتقدوا أنه بسبب فداء أحد زعمائهم، حيث خلصهم وحمل عنهم العذاب، لذا حرص متى على القول: "ومن الساعة السادسة، كانت ظلمة على الأرض إلى الساعة التاسعة" (متى 27/45). ومن أوجه الشبه بين الوثنيات القديمة والنصرانية القول بقيامة الآلهة من الأموات، فقد أجمعت الأناجيل على قيامة عيسى من الموت، ولكن هذا قد سبقهم إليه الهنود، حيث قالوا في كرشنا: "هوذا كرشنا صاعد إلى وطنه في السماوات".

وكذا يقول عُباد بُودا بأنه حزن عليه بعد موته أهل السماوات والأرض "حتى إن مهاويو (الإله العظيم) حزن ونادى: قم أيها المحب المقدس، فقام كام (أي بودا) حياً، وبُدِّلت الأحزان والأتراح بالأفراح، وهاجت السماء، ونادت فرحة: عاد الإله الذي ظن أنه مات وفُقد ..."، ومثله يعتقد الصينيون في إلههم (لأوكيون)، والمجوس في (زورستر).

ويقول عابدو (سكولا بيوس) في القصيدة التي حكت عن حياته: "أيها الطفل القادر على شفاء الأمم في السنين القادمة حينما يهب من في القبور وأنت من المسكن المظلم ستقوم ظافراً وتصير إلهاً". وعن تموز يقول البابليون: "ثقوا أيها القديسون برجوع إلهكم، واتكلوا على ربكم الذي قام من الأموات". ومثل هذا الاعتقاد، سري في كثير من الوثنيات قبل المسيحية فقد قيل بقيام أوزوريس، وحورس، "ومتراس" وباخوس، وهرقل، وكوتز لكوتل، وبلدور، وغيرهم، فكل هؤلاء قال عُبادهم بقيامتهم من الموت. ولعل أهم هؤلاء أوزوريس معبود المصريين القريب من مهد المسيحية، وقد انتشرت أسطورته في القرن الثالث قبل الميلاد. ويقول المؤرخ مهامي: "إن محور التعليم الديني عند الوثنيين في مصر في القرون الخالية هو الإيمان بقيام الإله".

صدق فيهم قول الله عز وجل ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزَّ فِي الثَّمِينِ ﴿١٠١﴾ وَمِمَّنْ جَاءَكَ الْمَسَاءِلُ ﴿١٠٢﴾ أَقْبَلُ مِنْهَا بِمَعْرِفَةٍ وَأَعْبُدُهَا بِإِيمَانٍ وَأَقْبَلُهَا كَتَبَلٍ كَاتِبٍ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (سورة الشورى: ١٠١-١٠٣).

وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح

انعقد مجمع الفاتيكان عام 1963م لبحث موضوعات عديدة، تدور حول تقوية الوحدة المسيحية. وفي الدورة الثانية منه قدّم الألماني الكاردينال بيا وثيقة تعتبر الصورة التمهيدية للوثيقة التي صدرت فيما بعد، وتبرئ اليهود من دم المسيح. وتنادي الوثيقة التمهيدية باعتبار الشعب اليهودي جزءاً من الأمل المسيحي، وأنه لا يجوز أن ننسب إلى يهودٍ عصرنا ما ارتكب من أعمال أيام المسيح، واحتج الكاردينال لكلامه بأن كثيرين من الشعب لم يكونوا يعرفون شيئاً عما حدث، ولم يوافق بعض قادة الشعب على فعل سائر الكهنة.

وقد عورضت الوثيقة داخل المجمع، لما فيها من اعتبارات سياسية، وطلب المطران الهندي (كوتنهو) حذفها، وإضافة فصول عن الديانة الهندية والإسلامية، وكذلك عارض الوثيقة بعض كرادلة الشرق، كما عارضها الشباب الكاثوليك بالقدس، وأوضحوا أن ذلك ليس حقاً للمجمع ولا غيره، وطالبوا بتطبيق ما جاء في سفر الخروج: "أنا الرب إلهك، إله غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء" (الخروج 20/15).

واستشهد القس إبراهيم سعيد - رئيس طائفة الأقباط الإنجيليين - بنصوص الإنجيل، التي تقرر أن اليهود طلبوا صلبه، ورفضوا إطلاق المسيح، وطلبوا إطلاق باراباس، وتولى رئيس الكهنة قيافا بعض الوزر في ذلك. ثم إنهم قالوا: "دمه علينا وعلى أولادنا" (متى 27/25).

وقد قال بطرس لثلاثة آلاف من اليهود: "يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم" (أعمال 2/36). وتم تشكيل لجنة لتعديل الوثيقة، وُعدلت، وفي أكتوبر 1965م صدرت وثيقة تبرئة اليهود.

ويقول الكاردينال بيا عن هذه الوثيقة: "ليست هذه الوثيقة ثمرة يوم أو ليلة، إنها خلاصة دراسة"، وقد وقع البابا يوحنا الثالث والعشرون عليها قبل وفاته بخمسة أشهر، لتصبح وثيقة دينية معتبرة، ومعتمدة من أهم المراجع النصرانية.

وقد أراد بيا من وثيقته التمهيدية تبرئة العنصر اليهودي من صلب المسيح.

ولكن الوثيقة النهائية الرسمية أقرت بدور اليهود وبراءة الرومان، وبرأت الأجيال اليهودية اللاحقة من تولي وزير هذه الجريمة، كما أنها حاولت حصر الجريمة في أقل عدد ممكن من الكهنة ورؤساء الشعب اليهودي، " فإن ما ارتكب أثناء الآمه، لا يمكن أن يعزى إلى جميع اليهود الذين كانوا عائشين إذ ذاك، ولا إلى يهود أيامنا ". وتعود الوثيقة للحديث عن آلام المسيح المصلوب، فتقول: " ما حصل للمسيح من عذابه لا يمكن أن يعزى لجميع الشعب اليهودي .. فإن الكنيسة كانت ولا تزال تعتقد بأن المسيح قد مر بعذابه وقتله بحربة بسبب ذنوب جميع البشر، ونتيجة حُب لا حدَّ له ". ونلاحظ في هذه الوثيقة تعارضاً صريحاً مع النصوص الإنجيلية، المصرحة بدور اليهود بقتل المسيح على الصليب، ومنها قول بولس: " اليهود الذين قتلوا الرب يسوع، وأنبياءهم، واضطهدونا نحن " (تسالونيكى (1) 2/15).

وقد ذكرت الأناجيل دورهم، فهم الذين تأمر رؤساء كهنتهم، وهم الذين قدموا الرشوة ليهودا، وأصروا وأصرت الجموع على صلب المسيح رغم براءته التي ظهرت لبيلاطس؛ الذي قبل نصيحة زوجته، ف تبرأ من دم هذا البار.

كيف يبرأ اليهود من دمه؛ ويوحنا يقول على لسان قيافا رئيس الكهنة: " أنتم لستم تعرفون شيئاً، ولا تنكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب، ولا تهلك الأمة كلها.. فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه " (يوحنا 11/47 - 53).

واليهود هم الذين أتوا بشهود الزور. ولما وجد بيلاطس أن لا جرم عليه، قال: " إني بريء من دم هذا البار. أبصروا أنتم، فأجاب جميع الشعب وقالوا: دمه علينا وعلى أولادنا " (متى 27/24 - 25).

ثم كيف للكنيسة أن تبرئ اليهود وذرائعهم من دم المسيح، وهم قد قالوا لبيلاطس: " دمه علينا وعلى أولادنا " (متى 27/25)، والمفروض أن النصارى يؤمنون بوراثة الذنب ولو تبرأ منه الورثة، فما بالنا بالذنب الذي أعلن أصحابه مسئوليتهم وأبناءهم عنه، ومن الممكن تصور وراثة ذنب اليهود دون ذنب آدم، أما العكس فلا، وألف لا.

وعندما نسجل هذا الاعتراض على النصرانية، فإننا نعلم براءة يهود زماننا من جرائم أسلافهم، بل وبراءة يهود القرن الأول من دم المسيح، فقد أنجاه الله منهم، ولكن ذلك لا يبرئهم من أصل الجريمة، ألا وهي سعيهم لقتل المسيح، فقد خططوا لصلبه، وتأمروا عليه، ومضوا في التنفيذ، فأخذوا مَن ظنوه المسيح، وصلبوه، وقتلوه، وهي في كل القوانين جريمة، والخطأ في شخص المجني عليه لا يغير من بشاعة جريمتهم كثيراً، من حيث نيتهم وما أرادوا فعله.

عقيدة المسلمين في الخطيئة والخلاص

أثبتنا فيما سبق نجاه المسيح من الصليب، وهو أمر مبطل لكل ما يقوله النصراني عن عقيدة الفداء والخلاص. والحديث النصراني عن المسيح المصلوب لا يلزم منه أن صليبه كان فداء للخطيئة، لكن نجاه المسيح بلا شك هدم لأساس هذا المعتقد.

وما انتهينا إليه قبل لن يمنعنا من الاسترسال في نقد عقائد النصرانية الملحقة والمبنية على هذا الباطل، وأهمها الفداء ووراثة الذنب الأول.

وقبل أن نشرع في بيان بطلان عقيدة الفداء والخلاص نتوقف مع تبيان معتقد المسلمين بشأن ذنب آدم وذنوب سائر البشر.

تحدثت النصوص القرآنية عن آدم وتكريم الله له، فهو خليفة عن الله في أرضه ﴿ قُلْ إِنَّمَا جَعَلْتَنِي خَلِيفَةً لِّإِبْرَاهِيمَ إِذْ بَنَى الضَّمْرَانَ ۖ تَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا ۚ ﴾ (البقرة: ١٢٥).

﴿ قُلْ إِنَّمَا جَعَلْتَنِي خَلِيفَةً لِّإِبْرَاهِيمَ إِذْ بَنَى الضَّمْرَانَ ۖ تَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا ۚ ﴾ (البقرة: ١٢٥).

﴿ قُلْ إِنَّمَا جَعَلْتَنِي خَلِيفَةً لِّإِبْرَاهِيمَ إِذْ بَنَى الضَّمْرَانَ ۖ تَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا ۚ ﴾ (البقرة: ١٢٥).

﴿ قُلْ إِنَّمَا جَعَلْتَنِي خَلِيفَةً لِّإِبْرَاهِيمَ إِذْ بَنَى الضَّمْرَانَ ۖ تَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا ۚ ﴾ (البقرة: ١٢٥).

﴿ قُلْ إِنَّمَا جَعَلْتَنِي خَلِيفَةً لِّإِبْرَاهِيمَ إِذْ بَنَى الضَّمْرَانَ ۖ تَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا ۚ ﴾ (البقرة: ١٢٥).

﴿ قُلْ إِنَّمَا جَعَلْتَنِي خَلِيفَةً لِّإِبْرَاهِيمَ إِذْ بَنَى الضَّمْرَانَ ۖ تَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا ۚ ﴾ (البقرة: ١٢٥).

﴿ قُلْ إِنَّمَا جَعَلْتَنِي خَلِيفَةً لِّإِبْرَاهِيمَ إِذْ بَنَى الضَّمْرَانَ ۖ تَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا ۚ ﴾ (البقرة: ١٢٥).

... (: -) .

... (: -) .

... (- :)

... (:) .

... (: -) .

... (- :)

... (:) .

... .

عقيدة الخلاص

تعتبر عقيدة الفداء والخلاص مفتاح جميع العقائد النصرانية، فهي أهم ما يبشر به النصارى، ولتحقيقها وضع النصارى المسيح - الذي أنجاه الله - على الصليب، ولتحقق الفداء على صورة ترضي الإله العظيم جعلوا المصلوب إلهاً، حتى يساوي الفادي المثلث العظيم، وهو نجاه البشرية وخلصها من الخطيئة والدينونة، وهو ما عبر عنه العهد الجديد على لسان بطرس بقوله: " عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفتنى: بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حَمَلٍ يَلَا عَيْبٍ، ولا دنس، دم المسيح " (بطرس 1) 1/18 - 19).

وقبل أن نلج لنقض هذا المعتقد نتعرف على النصوص المقدسة عند النصارى التي قررت معتقدات الفرق النصرانية المختلفة في هذه القضية الهامة، لنعرف مقصدهم في الخلاص، ولمن يبذلونه، وعمن يمنعونه، إلى غير ذلك من المسائل المتعلقة بهذه القضية والتي يتوقف على إثباتها مصير آلاف الملايين من البشر في عصرنا وسائر العصور.

وأول ما نلاحظه اختلاف النصوص الكتابية في تحديد ما يُغفر بدم المسيح، فبعضها يتحدث عن ذنب آدم فقط، وبعضها يشمل جميع الذنوب التي سبقت صلب المسيح؟ بل يمتد بعضها ليعممه على جميع الذنوب التي يرتكبها العبد حاضراً ومستقبلاً.

لتوضيح هذا التخييط نعرض نماذج لهذه النصوص، يقول بولس عن المسيح: " هو وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون - إذ صار موت لفداء التعديات التي في العهد الأول - ينالون وعد الميراث الأبدي " (عبرانيين 9/15) فجعل بولس الخلاص إنما هو من ذنب آدم فقط. ولكنه في موضع آخر يجعل الخلاص أوسع من ذلك، فيقول: " المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه، لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله، لإظهار بره في الزمن الحاضر ليكون باراً، ويبرر من هو من الإيمان بيسوع " (رومية 3/24-25)، فقد جعل الخلاص خاصاً بالخطايا التي سبقت المسيح، وشرطه بالإيمان بالمسيح.

ومثله ما جاء في مرقس: " من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدين " (مرقس 16/16).
وفي موضع آخر يجعل بولس الخلاص للجميع، لجميع البشر، فيقول عن المسيح: " بذله لأجلنا أجمعين " (رومية 8/32) ويوضحه قول يوحنا: " يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً " (يوحنا (1) 2/2) ويؤكدده قوله: " نشهد أن الآب قد أرسل الابن مخلصاً للعالم " (يوحنا 4/14) فجعل الخلاص عاماً لكل الخطايا، ولكل البشر، مخالفاً قول بطرس: " كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا " (أعمال 10/43) إذ بطرس قيد الخلاص بالمؤمنين بالمسيح.
وفي موضع آخر جعل بولس الخلاص على درجات يتفاوت فيها حتى المؤمنون به، يقول: " قوة الله للخلاص لكل من يؤمن، لليهودي أولاً، ثم لليوناني " (رومية 1/16).

ويشترط بولس للخلاص الإيمان بأبوة الله للمسيح، ويضيف شرطاً آخر هو الاعتراف القلبي بقيامة المسيح من الأموات فيقول: " إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وأمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت " (رومية 10/9).

وهذا الاختلاف الذي رأيناه في النصوص الكتابية انعكس على الفرق النصرانية، فاختلقت في حدود الخلاص الذي حصل بسبب المسيح، فمنهم من جعله عاماً لكل البشر، ومنهم من خصه بالمؤمنين بقيامة المسيح، أو بالمؤمنين بأن المسيح ابن الله؟

الخلاص عند الكاثوليك والأرثوذكس
يعتقد الكاثوليك والأرثوذكس أن الخلاص لا يشمل جميع الذنوب، إنما يشمل الخطيئة الأصلية، وكما يقول القديس أوغسطينوس: بعد الفداء عادت للبشرية حريتها وإرادتها التي سلبتها بذنب آدم، فإذا ما أتى المتعمد ذنباً بعد معموديته، فسيعود مستحقاً للعذاب الدائم إن كان الذنب كبيراً.

أما إن كان الذنب صغيراً فيكون عذابه في " المطهر " الذي يعذب به المؤمنون رداً من الزمن حتى يخلصوا من القصاصات التي عليهم.

يشرح كتاب مختصر التعليم المسيحي الصادر عن الجمعية الكاثوليكية للمدارس المصرية عذاب المطهر، فيقول: "المطهر هو عذاب تطهر فيه نفوس الأبرار قبل دخولها السماء... الذين يعذبون بالمطهر هم الذين يموتون في النعمة، إلا أنهم لا يخلون من الخطايا العرضية، أو لم يوفوا بالتمام القصاصات الزمانية عن خطاياهم المميتة المغفورة... إن عذاب المطهر هو أشد من كل عذاب مدة الحياة.. إلى أن يوفوا تماماً ما عليهم من القصاصات".

ودليل الكاثوليك في تقرير هذه العقيدة ما جاء في مرقس: " كل واحد يملح بالنار، وكل ذبيحة تملح بالملح " (مرقس 9/49) فهو عذاب يشمل كل مؤمن عليه قصاصات.

إذا فالفداء عند الكاثوليك والأرثوذكس يتلخص بقول هنري أبو خاطر: " هو تجسد الإله لتخليص البشرية من شوائب الخطيئة الأولى ".

ولولا فداء المسيح للجنس الإنساني لهلك الجميع كما هلك السابقون للمسيح الذين سبقوا مجيء الفادي، وفي مقدمة الهالكين - وفق الفكر النصراني - الأنبياء، الذين يقول عنهم بولس سلامة في كتابه " مع المسيح " : " كانوا في أليميس - أي جهنم - مقر لأرواح الصالحين الأبرار الذين أوصدت في وجههم أبواب السماء، بسبب خطيئة آدم الأولى، فلبثوا حتى مجيء آدم الثاني، أي المسيح ".

ويقول عوض سمعان عن موسى عليه السلام: " ومهما كانت عظمة موسى، فإنه لولا نعمة المسيح له، لكان قد هلك واستحق عقاباً أبدياً على خطيئته ".

صكوك الغفران للخلاص من القصاصات وكوسيلة للخلاص من عذاب المطهر ظهرت عند الكاثوليك بدعة صكوك الغفران في المجمع الثاني عشر المنعقد في روما سنة 1215م ، وقرر فيه المجتمعون أن " الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء " . وقد استندت الكنيسة في هذا المعتقد لعدد من النصوص التي رأوها تمنحهم هذا السلطان، منها أن المسيح خاطب بطرس قائلاً: " أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة ابني كنيسة، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها،

وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات " (متى 16/18 - 19)، ولما كانت الكنيسة تعتبر نفسها وارثة لبطرس ورثت أيضاً هذا السلطان عنه. وأيضاً يقول يوحنا بأن المسيح قال لتلاميذه: " من غفرتم للناس خطاياهم تغفر له، ومن أمسكتم خطاياهم أمسكتم " (يوحنا 20/23)
فقد ورثت الكنيسة ورجالها دور المسيح الوسيط الذي وصفه بولس: " يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح " (تيموثاوس 1) 2/5 .

وقد ووجه قرار المجمع باحتجاجات طويلة من الذين رفضوا أن يكون قرار الغفران بيد رجال الكهنة الخاطئين. كيف لهؤلاء أن يمنحوا الخلاص والغفران؟ وفي عام 1869م صدر قرار يفيد عصمة البابا خروجاً من هذه الاحتجاجات وغيرها، وقد ظهر بعد انتشار صكوك الغفران ما أسمته الكنيسة بالتعويض السري، ويشرحه " معجم اللاهوت الكاثوليكي " فيقول: " الإنسان يخضع لهذه المراحل التطهيرية، إذ يموت مبرراً بالنعمة، بمقدار ما تكون حالة العقاب (المستحق) لا تزال موجودة فيه، ولم تزل بزوال الخطايا بالغفران يوم التبرير، وبمقدار ما بالإمكان أن تزيل هذه الحالة عقوبات تعويضية ... فإذا لم تتم التعويض السري بعد أن نكون قد أكدنا إرادتنا كلياً للتعويض يظل السر صحيحاً، إنما يجب أن نقوم بذلك التعويض محتملين نتائج الحقيقة الأليمة " .
ويجدر أن ننبه إلى أن بدعة الاعتراف الكنسي ومهزلة صكوك الغفران التي بقيت الكنائس تصدرها رداً طويلاً من الزمن كوسيلة لتحصيل الخلاص كانتا أهم أسباب وجود فرقة البروتستانت وانشقاقهم عن الكنيسة الكاثوليكية.

وهما في الحقيقة نوع وصورة من صور وثنية النصراني، فالغفران الذي يمنحه القسيس للمعترف أو لدافع رسوم صكوك الغفران فتح أبواب الجنة وتحديد لمصير البشر، وعليه فإن هؤلاء الذين يملكونها غدوا في الحقيقة آلهة أخرى تضاف إلى التثليث الذي يقولون به.

و حين يتأمل العقل المجرد في صورتي الحصول على الغفران التي اعتمدها الكنيسة فإنه يستقبحها ويمجها، حيث يجلس التائب أو التائبة في خلوة بين يدي رجال الكهنوت المتبتلين والممنوعين من الزواج، فتقص الفاجرة قصة فجورها بين يديه، طالبة منه الغفران والصفح، ولا يخفى ما يسببه هذا الاعتراف من الفتنة والفساد والبغاء.

وأما الصيغة الأخرى للحصول على الغفران والمتمثلة بدفع المال لرجال الكهنوت فهي نوع من الامبريالية في الدين، إذ الذي لا يجد من المال ما يشتري به صك غفران، فليس عليه إلا أن يهيئ نفسه لدخول النار، ويئس القرار، لأن الجنة - بمقتضى هذا المنطق المعكوس، والفهم المنكوس - ستكون مخصصة للأغنياء فقط.

الخلاص عند البروتستانت
 أما البروتستانت فيرون الفداء أوسع مما رآه الكاثوليك بكثير، إذ يرونه يشمل كل الخطايا، كما يشمل كل الناس، مؤمنهم وكافرهم.

يقول جورد فورد في " نور العالم ": " العاقل يعلم أن شروط الخلاص والهلاك أجل وأعدل من أن تكون مذهبية، أو تتنوع باختلاف الشعوب والنحل ".
 ويقول أنيس شروش في مناظرته لديدات: " يسوع الناصري، هو الذي حقق هذه النبوءة، وذلك بالموت نيابة عن الخطاة، كل الخطاة، وليس فقط آدم وحواء ".
 ويقول أيضاً: " الخلاص ليس للمسلمين، ولا لليهود، ولا للآخرين، إنه لنا جميعاً، إن الله يحبنا، لقد أصبح الله ابناً، وأصبح الابن إنساناً، وهكذا أصبحنا نحن كبشر أبناء الله ".

ويقول العالم البروتستانتي ترثون: " نحن نجتاز نحو مبدأ الكفارة، تلك هي أن المسيح قد أصبح إلى حد ما بمعنى الفداء عن الخطيئة، ومن ثم فقد صالح الله الأب الإنسان الخاطيء، " لأنه إن كنا ونحن أعداء، فقد صولحنا مع الله بموت ابنه " (رومية 5/10).

خطيئة آدم والذنب الموروث

تبدأ قصة الخطيئة ثم الخلاص والفداء عندما خلق الله آدم في جنته، ونهاه عن الأكل من أحد أشجارها، فأغواه إبليس، فوقع الأبنون في شرك كيدته، وأكلا من الشجرة المحرمة، فعاقبهما الله بما يستحقا، وأنزلهما إلى الأرض.

فمدخل عقيدة الخلاص والفداء هي تلكم القصة التي حصلت في فجر البشرية، فلنر ماذا يقول الكتاب المقدس عن تلك القصة، ولنبدأ باستعراض قصة ذنب آدم كما جاءت في سفر التكوين.

قصة خطيئة آدم في سفر التكوين

يقول سفر التكوين: " وأخذ الرب الإله آدم، ووضع في جنة عدن ليعملها ويحفظها، وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت... "

وكانت الحية أحيلاً جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله؟، فقالت للمرأة: أحقاً قال الله: لا تأكل من كل شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكل منه، ولا تمساه لئلا تموتا.

فقالت الحية للمرأة لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها، وأكلت، وأعطت رجلها أيضاً معها، فأكل فانفتحت أعينهما، وعلمتا أنهما عريانان. فخاطبا أوراق تين، وصنعا لأنفسهما مآزر.

وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم، وقال له: أين أنت؟

فقال: سمعت صوتك في الجنة، فخشيت لأنني عريان، فاختبأت، فقال: من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت.

فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت؟ فقالت المرأة: الحية غرّتني فأكلت.
فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم، ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك، وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه.
وقال للمرأة: تكثيراً أكثر أتعب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك.
وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك، وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً: لا تأكل منها. ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الحقل، بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب، وإلى تراب تعود ...

وقال الرب الإله: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر، والآن لعله يمد يده، ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها، فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة " (التكوين 2/15-3/24).

نقد القصة التوراتية للخطيئة الأولى
إن التأمل في القصة التوراتية يثير عدداً كبيراً من الأسئلة، ويشكك في مصداقية الرواية التي بنى عليها النصارى أحد أكبر أوهامهم.
وأول ما نلاحظه أن الرواية التوراتية تتحدث عن الذات الإلهية بما لا يليق وشمولية علم الله وتنزهه، ومنه " وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب النهار، فاختبأ آدم وامرأته في وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم، وقال له: أين أنت؟ "، فسؤاله ليس سؤالاً تقريرياً، وليس تأنيبياً، بل هو استفهامي، صدر عن عاجز عن الوصول إلى من تواري عنه حين سمع وقع أقدامه.
كما نسبت الرواية التوراتية الإغواء إلى الحية، فلئن كانت الحية حقيقية كما يذهب إليه مفسرو أهل الكتاب،

(1)
فالسؤال: هل الحيوان يكلف ويعاقب، وهل تكليفه قبل آدم أم بعده، وهل أرسل له رسل من جنسه، وأين أشار العهد القديم لمثل هذا التكليف الغريب؟
 ورغم تفسير الكتاب للحية بأنها رمز للشيطان (انظر الرؤيا 20/2)، فإن سفر التكوين كان يتحدث عن حية حقيقية، وليس عن معنى رمزي، فقد وصف الحية بأنها من البهائم "الحية أحيل جميع حيوانات البرية"، وقال عنها: "ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين"، فالحديث عن حية حقيقية نراها إلى يومنا هذا وهي تسعى على بطنها، عقوبة للعصيان، كما جاء في السفر التوراتي.
 كما جعل السفر التوراتي سبب إخراج آدم من الجنة خوف من تسلط آدم على شجرة الحياة "والآن لعله يمد يده، ويأخذ من شجرة الحياة، ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن".
 ويبقى السؤال الأهم: ما هي معصية آدم؟ وتأتي الإجابة التوراتية واضحة، لقد أكل من الشجرة المحرمة، شجرة معرفة الخير والشر، لقد عرفا الخير والشر. فماذا ترتب على هذه المعرفة من ثمرة؟ لا يذكر النص التوراتي لهذه الفعلة أثراً سوى أن آدم وحواء عرفا بأنهما عريانان، إذ انكشفت لهما الأمور بمعرفتهما للخير والشر.
 لكن المعرفة سلم للوصول إلى الحقيقة، ولم تحرم إلا في زمن الطغاة والمستبدين، فهل كان بحث آدم عنها وتشوقه إليها جريمة! أليس ذلك تحقيقاً للمشيئة الإلهية في إقامة الجنس البشري.
 ثم من الظلم أن يعاقب آدم - حسب النص - على ذنب ما كان له أن يدرك قبحه، إذ لم يعرف بعدُ الخير من الشر، بل ونتساءل: كيف وقع آدم في الإثم وهو غير ميال للشر والخطيئة التي دخلت للإنسان بعده كما يزعم النصارى.
 أما الإسلام فيعترف بالجيلة البشرية التي خلق الله الإنسان عليها فهو مستعد للخير والشر، مدرك لهما، ولذا فهو مكلف بفعل الخير وبالامتناع عن الشر، ومحاسب على ذلك.
 وثمة مسألة أخرى هامة من الذي يتحمل وزر الذنب آدم أم حواء؟

يذكر النص التوارتي ما يفهم منه براءة آدم من غواية الحية وإدانة حواء بها، ففيه أن حواء التي أغوتها الحية فأكلت " وأعطت رجلها أيضاً معها، فأكل ". ولما سئل عن فعلته قال آدم: " المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة، فأكلت "، وبراءة آدم هي ما صرح به بولس " وادم لم يغو، لكن المرأة أغويت، فحصلت في التعدي " (تيموثاوس (1) 2/14)، لأنه "كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم " (رومية 5/12).

ولا ريب أن لهذا كبير علاقة مع النظرة اليهودية للمرأة حيث تزري بها شرائع اليهودية، وهي في هذا النص تعتبرها سببا للخطيئة. والقرآن الكريم عندما تحدث عن خطيئة آدم حمل آدم - وهو الرجل، رب الأسرة وصاحب القرار الأول فيها - المسؤولية الأولى " (سورة: البقرة).

فإننا نرى في النص التورتي أن حواء هي التي أعطت آدم من الشجرة، فأكلت، وبراءة آدم هي ما صرح به بولس " وادم لم يغو، لكن المرأة أغويت، فحصلت في التعدي " (تيموثاوس (1) 2/14)، لأنه "كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم " (رومية 5/12). ولا ريب أن لهذا كبير علاقة مع النظرة اليهودية للمرأة حيث تزري بها شرائع اليهودية، وهي في هذا النص تعتبرها سببا للخطيئة. والقرآن الكريم عندما تحدث عن خطيئة آدم حمل آدم - وهو الرجل، رب الأسرة وصاحب القرار الأول فيها - المسؤولية الأولى " (سورة: البقرة).

فإننا نرى في النص التورتي أن حواء هي التي أعطت آدم من الشجرة، فأكلت، وبراءة آدم هي ما صرح به بولس " وادم لم يغو، لكن المرأة أغويت، فحصلت في التعدي " (تيموثاوس (1) 2/14)، لأنه "كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم " (رومية 5/12).

فإننا نرى في النص التورتي أن حواء هي التي أعطت آدم من الشجرة، فأكلت، وبراءة آدم هي ما صرح به بولس " وادم لم يغو، لكن المرأة أغويت، فحصلت في التعدي " (تيموثاوس (1) 2/14)، لأنه "كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم " (رومية 5/12).

سلسلة الهدى والنور (4)

11)

(2

التي هي من أهم أسس الفكر الإسلامي والتي لا يمكن فصلها عن الفكر الإسلامي ككل.

التي هي من أهم أسس الفكر الإسلامي والتي لا يمكن فصلها عن الفكر الإسلامي ككل.

التي هي من أهم أسس الفكر الإسلامي والتي لا يمكن فصلها عن الفكر الإسلامي ككل.

فلسفة النصارى لمسألة الخطيئة والكفارة

قرأنا النص التوراتي من خلال الملاحظات السابقة،
فما هو معتقد النصارى في خطيئة آدم وعقوبتها
وأبعادها؟

يعتبر سانت أوغسطينوس (430م) في مقدمة
النصارى الذين قدموا تفسيراً متكاملًا لهذه المسألة،
ويعتبره العثماني في كتابه: "ما هي النصرانية" الوحيد
الذي استوعب قضية الكفارة.

وخلاصة رأيه كما نقله العثماني:

- أن الله خلق الإنسان وترك فيه قوة الإرادة في حرية
كاملة، وأنعم عليه، وحرّم عليه تناول القمح.

لكن آدم وضع قوته الإرادية في غير موضعها عندما
تناول ما حرّم عليه، ولم يكن صعباً عليه تحاشي المعصية،
إذ لم يكن يعرف يومذاك عواطف الهوس والشهوة.

- ذنب آدم ذنب عظيم لأنه يتضمن ذنوباً عديدة أولها:
الكفر، إذ اختار آدم أن يعيش محكوماً بسلطته، بدل أن
يعيش في ظل الحكم الإلهي.

وثانيها: كفر وإساءة أدب مع الله، لأن الإنسان لم

يتيقن في الله.

وثالثها: قتل نفسه، إذ جعل حكمها الموت.

ورابعها: الزنا المعنوي، لأن إخلاص الروح الإنسانية قد
ضاع من أجل التصديق بقول الحية المعسول.

وخامسها: السرقة إذ نال ما لا يحل له.

وسادسها: الطمع.

وهكذا كانت هذه الخطيئة أمماً لكل الأخطاء البشرية "

والحق أنك مهما أمعنت في حقيقة أي إثم، فستجد له

انعكاساً في هذه الخطيئة الواحدة "

- جزاء هذه الخطيئة الشنيعة الموت الدائم، أو العذاب

الدائم " لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت "، كما سلب آدم

بعدها الحرية الإرادية بعد أن هزمه الذنب، فأصبح حراً في

إتيان الإثم، وغير حر في صنع المعروف، فالعقاب

المعقول للذنب هو أذنب بعده، بعد تخلي رحمة الله عنه،

وهكذا أصبحت الخطيئة مركبة من طبيعة الأبوين،

وانتقلت منهما وراثية إلى سائر أبنائهما.

ونلاحظ في طرح أوغسطينوس التضخيم الكبير

لمعصية آدم، والغاية منه كما هو واضح قفل طريق

الرجعة بالتوبة، تمهيداً لإشاعة عقيدة المخلص يسوع

عليه السلام، وما ذكره أوغسطينوس في ذنب آدم من تهويل من الممكن أن نقوله عن سائر الذنوب، والحقيقة أن ذنب آدم كسائر الذنوب دون عفو الله ومغفرته. ولو توقف النصارى عند هذا الحد لكانت القضية شخصية، لكن أوغسطينوس وغيره من النصارى يصرون على أن هذا الذنب لا بد له من عقوبة قاسية، كما يرتبون على هذا الذنب مسألة خطيرة، وهي وراثته البشرية. جمعاء لذنب أبويهم واستحقاقهم لتلك العقوبة القاسية. ويؤكد أوغسطينوس على وراثته البشرية لذنب الأبوين، إذ أصبحت الخطيئة كامنة في طبيعتهما، فانتقلت وراثته إلى سائر الأبناء، فيولد الطفل وهو مذنب، لأن وباء الخطيئة كما يقول جان كالوين قد سرى إلى هذا الطفل وراثته، ويصوره القديس توماس أكويناس (1274م) بالذنب تذببه الروح، لكنه ينتقل إلى أعضاء وجوارح الإنسان.

وهكذا أصبح البشر جميعاً خطاة، وكما يقول عوض سمعان في كتابه " فلسفة الغفران في المسيحية " :
 وبما أن آدم الذي ولد منه البشر جميعاً كان قد فقد بعصيانه حياة الاستقامة التي خلقه الله عليها، وأصبح خاطئاً قبل أن ينحس نسلًا، إذن كان أمراً بدهياً أن يولد أبنائه جميعاً خطاة بطبيعتهم نظيره، لأننا مهما جُلنا بأبصارنا في الكون لا نجد لسنة الله تبديلاً أو تحويلاً، ولذلك قال الوحي: " بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم " (رومية 5/12 - 21).

ويشبهه كالوني أحد علماء البروتستانت انتقال الخطيئة لبني آدم بانتقال الوباء، فيقول: " حينما يقال: إننا استحققنا العذاب الإلهي من أجل خطيئة آدم، فليس يعني ذلك أننا بدورنا كنا معصومين أبرياء، وقد حملنا ظلماً ذنب آدم الحقيقة أننا لم نتوارث من آدم العقاب فقط، بل الحق أن وباء الخطيئة مستقر في أعماقنا، على سبيل الإنصاف الكامل، وكذلك الطفل الرضيع تضعه أمه مستحقاً للعقاب، وهذا العقاب يرجع إلى ذنبه هو، وليس من ذنب أحد غيره " .

وشعر علماء النصرانية بما تحويه عقيدة وراثته الخطيئة من ظلم للإنسانية، فعلموا على تبريرها لتقبلها العقول وعقوبتها من دون اعتراض ولا إحساس بالظلم، فيقول ندره اليازجي: " آدم هو مثال الإنسان، الإنسان الذي وجد

في حالة النعمة وسقط، إذن سقوط آدم من النعمة هو سقوط كل إنسان، إذن خطيئة آدم هي خطيئة كل إنسان، فليس المقصود أن الخطيئة تنتقل بالتوارث والتسلسل لأنها ليست تركة أو ميراثاً.
إنما المقصود أن آدم الإنسان قد أخطأ، فأخطأ آدم الجميع إذن، كل واحد قد أخطأ، وذلك لأنه إنسان " .

نقض فلسفة وراثه الخطيئة الأصلية

وهذه التبريرات المتهافته ما كان لها أن تقنع أحداً ممن يرى في وراثه الذنب ظلماً يتنزه الله عنه. فتشبيهم لوراثه الذنب بعدوى المرض باطل، لأن المرض شيء غير اختياري، فلا يقاس الذنب عليه، كما أن المرض لا يعاقب عليه الإنسان. وفصل أكونياس بين الروح والجسد وقوله بأن الخطيئة تسري من الروح للجوارح خطأ، لأن الخطأ عندما يقع فيه الإنسان، فإنما يقع فيه بروحه وجسده، فالإنسان مركب منهما، ويمارس حياته من خلالهما معاً. أما آدم فهو غير مركب من آدم وأبنائه. لذا نصر على اعتبار وراثه الذنب نوعاً من الظلم لا يليق نسبته لله عز وجل.

وهذا المعتقد لا دليل عليه في التوراة، بل الدليل قام على خلافه، إذ جاءت النصوص تنفي وراثه الذنب، وتؤكد على مسئولية كل إنسان عن عمله، ومنها:

- " النفس التي تخطيء هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون " (حزقيال 18/20 - 21).

- " لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل " (التثنية 24/16).

- " بل كل واحد يموت بذنبه، كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه " (إرمياء 31/30).

- " الذي عيناك مفتوحتان على كل طرق بني آدم لتعطي كل واحد حسب طرقه، وحسب ثمرة أعماله " (إرميا 32/19).

- " لا تموت الآباء لأجل البنين، ولا البنون يموتون لأجل الآباء، بل كل واحد يموت لأجل خطيئته " (الأيام 2 (25/4).

- " فإنه لا يموت بإثم أبيه " (حزقيال 18/17).

- " أفتهلك البار مع الأثيم، عسى أن يكون خمسون باراً في المدينة، أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين باراً الذين فيه، حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر: أن تميت البار مع الأثيم، فيكون البار كالأثيم.

حاشا لك، أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً " (التكوين 18/23 - 25).

كما أنكر المسيح الخطيئة الأصلية بقوله: " لو لم آت وأكلمهم، لم تكن لهم خطيئة، وأما الآن فليس لهم حجة في خطيئتهم... لو لم أعمل بينهم أعمالاً لم يعملها آخر، لما كانت لهم خطيئة، أما الآن فقد رأوا وأبغضوني " (يوحنا 15/22 - 24)، فالنص لا يتحدث عن خطأ سابق عن وجوده، بل عن خطأ وقع فيه بنو إسرائيل تجاهه، هو عدم الإيمان بالمسيح، وليس فيه أي ذكر للخطيئة الموروثة، بل هو لا يعرف شيئاً عنها.

بطلان وراثه الخطيئة بإثبات براءة الكثيرين من الخطيئة الأصلية

تشهد الكتب المقدسة عند النصارى لكثيرين بالخيرية وتثني عليهم، ولو كانوا مسرلين بالخطيئة الأصلية لما استحقوا هذا الثناء، ومنهم الأطفال الذين قال فيهم المسيح في إحدى وصاياه: " الحق أقول لكم، إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السماوات، فمن وضع نفسه مثل هذا الولد، فهو الأعظم في ملكوت السماوات " (متى 18/3 - 4)، (وانظر مرقس 10/13/16).

وعندها نهر تلاميذه أطفالاً قال: " دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السماوات " (متى 19/13 - 14) فيفهم من هذين النصين طهرة الأطفال من الخطيئة الأصلية، لذلك جعلهم مثلاً للأبرار الذين يدخلون الجنة.

لكن القديس أوغسطينوس كان يحكم بالهلاك على جميع الأطفال غير المعمدين، وكان يفتي بأنهم يحرقون في نار جهنم.

والأبرار أيضاً لم يحملوا هذه الخطيئة لذلك يقول المسيح: " لم آت لأدعو أبراراً، بل خطاة إلى التوبة " (لوقا 5/32)، فكيف يوجد أبرار ولما يصلب المسيح. وهؤلاء الأبرار ذكرتهم نصوص التوراة وأثبت عليهم ولم تتحدث عن قيدهم بالخطيئة الموروثة " كان كلام الرب إلى قائلاً: ما لكم أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل قائلين: الآباء أكلوا الحصرم، وأسنان الأبناء ضرست، حي يقول السيد الرب... الإنسان الذي كان باراً

وفعل حقاً وعدلاً، لم يأكل على الجبال، ولم يرفع عينيه إلى أصنام بيت إسرائيل، ولم ينجس امرأة قريبة، ولم يقرب طامثاً، ولم يظلم إنساناً... فهو بار، حياة يحيى يقول السيد الرب " (حزقيال 18/19 - 23)، فكل من يعمل الصالحات يكون باراً، ولا تؤثر فيه خطية آدم أو غيره.

ومن هؤلاء الأبرار الذين لم تكبلهم الخطيئة، وأثنت عليهم التوراة الأنبياء، ولو كانوا حاملين للخطيئة لما كانوا أهلاً لهداية الناس، فإن قيل عفي عنهم، فلم تره لم يعف عن الباقيين كما عفي - من غير دم - عن الأنبياء الذين اختار الله منهم كليماً وخليلاً.

ومن الأنبياء الذين أثنت عليهم التوراة أخنوخ " وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد لأن الله أخذه " (التكوين 5/24)، وقد قال عنه بولس: " بالإيمان نقل أخنوخ لكي لا يرى الموت، ولم يوجد لأن الله نقله، إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله " (عبرانيين 11/5).

وأيضاً نوح " وكان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله، وسار نوح مع الله " (التكوين 6/9).

وأيضاً إبراهيم فقد قيل له: " لا تخف يا إبرام أنا ترس لك، أجرك كثير جداً " (التكوين 11/1)، وقيل عنه: " بارك الرب إبراهيم في كل شيء " (التكوين 24/1).

ومن هؤلاء الأبرار أيوب، كما امتدحته التوراة: " قد قلت في مسامعي، وصوت أقوالك سمعت. قلت: أنا بريء بلا ذنب، زكي أنا ولا إثم لي " (أيوب 8/33-9).

وأيضاً يوحنا المعمدان " الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان " (متى 11/11)، ويقول عنه لوقا: " لأنه يكون عظيماً أمام الرب، وخمراً ومسكراً لا يشرب " (لوقا 1/15)، فهؤلاء جميعاً لم يرثوا الخطيئة، ولم تؤثر بهم مع أنهم من ذرية آدم، والكتاب يعلن صلاحهم وعدم احتياجهم إلى الخلاص بدم المسيح أو غيره..

كما أثنت التوراة على أشخاص من غير الأنبياء ووصفتهم بالصلاح والبر، فدل ذلك على عدم حملهم للخطيئة الأصلية.

منهم هابيل بن آدم الذي تقبل الله منه ذبيحته لصلاحه، ولم يقبلها من أخيه، فلم تمنعه الخطيئة الأصلية عن أن يكون عند الله مقبولاً (انظر التكوين 4/4)، وقد قال عنه

بولس: "بالإيمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين،
فيه شهد له أنه بار، إذ شهد الله لقرايينه" (عبرانيين
11/4).

وكذلك الناجون مع نوح كلهم من الأبرار " ورأى الله
الأرض، فإذا هي فسدت، إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه
على الأرض فقال الله لنوح: نهاية كل بشر أتت أمامي...
وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط" (التكوين
6/12-7/23). ولو كانت الخطيئة موروثه لما كان ثمة
مبرر لهذا التفريق.

ومن الأبرار أيضاً لاوي بن يعقوب، والذي اختص
وسبطه بالكهانة، حيث قال الله عنه: "عهدي معه للحياة
والسلام، وأعطيته إياهما للتقوى، فاتقاني، ومن اسمي
ارتاع هو، شريعة الحق كانت في فيه، وإثم لم يوجد في
شفتيه، سلك معي في السلام والاستقامة، وأرجع
كثيرين عن الإثم، لأن شفتي الكاهن تحفظان معرفة،
ومن فمه يطلبون الشريعة، لأنه رسول رب الجنود"
(ملاخي 2/5-7).

كذا خاطب الرب أورشليم محدثاً إياها عن البقية
المؤمنة في بني إسرائيل، فقال: "وأبقي في وسطك
شعباً بائساً ومسكيناً، فيتوكلون على اسم الرب، بقية
إسرائيل لا يفعلون إثماً، ولا يتكلمون بالكذب، ولا يوجد
في أفواههم لسان غش، لأنهم يرعون ويربضون"
(صفنيا 3/12-13)، فهؤلاء اليهود الباقون في أورشليم
منزهون عن الإثم والخطية.

وأيضاً شهد المسيح بنجاة لعاذر، وقد مات قبل الصلب
المزعوم للمسيح " فمات المسكين وحملته الملائكة إلى
حضن إبراهيم، ومات الفتى أيضاً، ودفن، فرفع عينيه في
الهاوية وهو في العذاب ورأى إبراهيم من بعيد ولعاذر
في حضنه، فنادى وقال: يا أبي إبراهيم، ارحمني...."
(لوقا 16/21-24)، فلعاذر نجا قبل صلب المسيح.

ويجزم المسيح بخلاص تلميذه زكا الذي أنفق نصف
ماله في سبيل الله من غير أن يحتاج لدم يخلصه أو فادٍ
يصلب عنه " فوقف زكا وقال للرب: ها أنا يا رب أعطي
نصف أموالي للمساكين، وإن كنت قد وشيت بأحد أرد
أربعة أضعاف. فقال له يسوع: اليوم حصل خلاص لهذا
البيت، إذ هو أيضاً ابن إبراهيم" (لوقا 19/8-9).

إبطال نظرية الذنب الموروث بشهادات النصارى
ومما يبطل نظرية وراثه الخطيئة الأصلية الإنكار الذي
صدر عن النصارى قديماً وحديثاً، فعبروا عن رفضهم لهذا
الظلم وعن تحمل تبعات خطيئة لم يرتكبوها ولم
يستشاروا فيها، بل ولم يشهدوها، ومن ذلك :
- أن مخطوطات نجع حمادي المكتشفة بعد الحرب
العالمية الثانية خلت من الحديث عن الخطيئة والغفران
الذي يتحدث عنه آباء الكنيسة.
- أن ثمة منكرون لهذه العقيدة في النصارى، ومنهم
الراهبان في روما في مطلع القرن الخامس بيلاجوس
وسليطوس وأصحابهما، فقد أنكروا سريان الخطيئة
الأصلية إلى ذرية آدم، واعتبروه مما يمنع السعادة
الأبدية، وقالوا بأن الإنسان موكول بأعماله.
ومنهم كواثيليس شيس الذي نقلت عنه دائرة المعارف
البريطانية أنه قال: " ذنب آدم لم يضر إلا آدم، ولم يكن
له أي تأثير على بني النوع البشري، والأطفال الرضعاء
حين تضعهم أمهاتهم يكونون كما كان آدم قبل الذنب ".
ومنهم الدكتور نظمي لوقا في كتابه " محمد الرسالة
والرسول " حيث تحدث عن الآثار السلبية التي تتركها
هذه العقيدة فيقول: " الحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة
عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة إلا من
نشأ في ظل تلك الفكرة القاتمة التي تصبغ بصبغة الخجل
والتأثم كل أفعال الفرد، فيمضي حياته مضي المريب
المتردد، ولا يقبل عليها إقبال الواثق بسبب ما أنقص
ظهره من الوزر الموروث.
إن تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة كلها،
ورفعها عن كاهل الإنسان منة عظيمة، بمثابة نفخ نسمة
حياة جديدة فيه، بل هو ولادة جديدة حقاً...
وإن أنسى لا أنسى ما ركبني صغيراً من الفرع والهول
من جراء تلك الخطيئة الأولى، وما سيقف فيه من سياق
مروع يقترن بوصف جهنم... جزاء وفاقاً على خطيئة آدم
بإيعاز من حواء... وإن أنسى لا أنسى القلق الذي
ساورني وشغل خاطري على ملايين البشر قبل المسيح
أين هم، وما ذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة".
ويقول الميجور جيمس براون عن فكرة وراثه الذنب
الأول: "فكرة فاحشة مستقدرة، لا توجد قبيلة اعتقدت
سخافة كهذه".

وأخيراً: فهل ذنب آدم هو الذنب الوحيد الذي يسرى في ذريته أم أن جميع الخطايا تتوارث. فإن خصوا ذنب آدم بالتوارث فقد خصصوا، ولا مخصص. وهكذا بطل القول بسريان الخطيئة إلى ذرية آدم، من خلال النصوص الصريحة في الكتب المقدسة وبشهادة العقلاء من أبناء النصرانية.

مبشرات صلب المسيح عند النصارى

ويقول النصارى في محاولة لتبرير صلب المسيح وربطه بخطيئة آدم: إن الله أراد برحمته أن يخلص الأرض من اللعنة التي أصابها بسبب معصية آدم، لكن عدله يأبى إلا أن يعاقب أصحاب الذنب، فكيف المخرج للتوفيق بين العدل والرحمة؟ فلا يجدون إجابة إلا صلب المسيح البريء نيابة عن البشرية وارثة الخطيئة والأرض الملعونة بسبب آدم!

يلخص أوغسطينوس المسألة بأن الله رحيم، ولا يريد أن يغير قوانين المحكمة، وفيها أن الموت عقوبة عادلة لهذه الخطيئة الأصلية، فاتخذ حيلة ينجي بها عباده، فيموتون ثم يحيون من جديد، فتعود إليهم حرمتهم بعد حياتهم الجديدة.

ولما كانت إماتة الناس جميعاً تتعارض مع قانون الطبيعة وسنن الكون، فكان لابد من شخص معصوم من الذنب الأصلي يعاقبه الله بموته، ثم يبعثه، فيكون موته بمثابة موت البشرية وعقوبتها، وقد اختار الله ابنه لهذه المهمة.

ويقول القس ليب ميخائيل: " إن الله الرحيم هو أيضاً إله عادل، وإن الله المحب هو أيضاً إله قدوس يكره الخطيئة، وإذا تركت هذه الصورة في أذهاننا... سنذكر على الفور أن صفات الله الأدبية الكاملة لا يمكن أن تسمح بغفران الخطية دون أن تنال قصاصها... فإن الصليب يبدو أمامنا ضرورة حتمية للتوفيق بين عدل الله ورحمته "

ويؤكد هذه المعاني عوض سمعان في كتابه " فلسفة الغفران " بقوله: " لو كان في الجائر أن تقل عدالة الله وقداسته عن رحمته ومحبه اللتين لا حد لهما، فإن من مستلزمات الكمال الذي يتصف به، أن لا يتساهل في شيء من مطالب عدالته وقداسته، وبما أنه لا يستطيع سواه إيفاء مطالب هذه وتلك، إذن لا سبيل للخلاص من الخطيئة ونتائجها إلا بقيامه بافتدائنا بنفسه "

فالمسيح المتأنس غير مولود من الخطيئة، ومسار لقيمة جميع الناس، فكان الفدية التي اصطلح فيها الله مع الإنسانية.

ويقول حبيب جرجس في كتابه " خلاصة الأصول الإيمانية ": " ولما فسد الجنس البشري، وصار الناس

مستعبدين للخطيئة، وأبناء للمعصية والغضب لم يتركهم الله يهلكون بانغماسهم فيها، بل شاء بمجرد رحمته أن ينقذنا من الهلاك بواسطة فادٍ يفدينا من حكم الموت، وهذا الفادي ليس إنساناً ولا ملاكاً ولا خليقة أخرى، بل هو مخلصنا وفادينا ابن الله الوحيد، ربنا يسوع المسيح الذي له المجد إلى أبد الأبدين".

ويؤكد القس جولد ساك على أهمية القصص فيقول:
" لا بد أن يكون واضحاً وضوح الشمس في ضحاها لأي إنسان بأن الله لا يمكنه أن ينقض ناموسه، لأنه إذا فعل ذلك من الذي يدعوه عادلاً ومنصفاً".

إذن لا بد من العقوبة حتى تحصل المغفرة. وفي ذلك يقول بولس صانع فكرة الفداء: " وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة " (عبرانيين 9/22).

ويقول: " لأنكم قد اشترتكم بثمن، فمجدوا الله في أجسادكم، وفي أرواحكم التي هي لله " (كورنثوس 1) (6/20)، ويقول: " أجرة الخطية هي موت " (رومية 6/23).

ويقول: " لأنه وإن كنا ونحن أعداء فقد صولحنا مع الله بموت ابنه " (رومية 5/10).

ويقول بطرس: " عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفتنى: بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حَمَلٍ بلا عيب، ولا دنس دم: المسيح " (بطرس 1) (1/18 - 19).

ويعتبر النصارى فداء المسيح للبشرية العمل الحقيقي للمسيح والذي من أجله تجسد وتأنس، يقول الأنبا أثناسيوس: " فالمسيح هو الله غير المنظور، وقد صار منظوراً، ولماذا صار منظوراً، لينجز مهمة الفداء والخلاص، التي ما كان يمكن لغير الله أن يقوم بها، فالله قد تجسد في المسيح من أجل الفداء والخلاص، فالفداء كان هو الغاية، والتجسد كان هو الوسيلة ".

نقد مبررات النصارى لضرورة الصلب التكفيري

ويري المسلمون في هذا الفكر النصراني انحرافاً وتجايفاً عن المعقول والمنقول، فإن فيه إساءة أدب مع الله وكفراً به، كان ينبغي أن ينزهه النصارى عنه، فقولهم بتناقض العدل مع الرحمة قروناً حتى جاء الحل بصلب المسيح رحمة من الرب بالعالمين. وتظهر العقيدة النصرانية الله عز وجل عاجزاً عن العفو عن آدم وذنبيه، حائراً في الطريقة التي ينبغي أن يعاقبه بها بعد أن قرر عقوبته. ويظهر قرار العقوبة وكأنه قرار متسرع يبحث له عن مخرج، وقد امتد البحث عن هذا المخرج قروناً عديدة، ثم اهتدى إليه بعد، فكان المخرج الوحيد هو ظلم المسيح وتعذيبه على الصليب كفارة عن ذنب لم يرتكبه. ويشبه النصارى إلههم وقتذاك بصورة مستقدرة، بصورة المرابي وهو يريد عوضاً على كل شيء، ونسي هؤلاء أن الله حين يعاقب لا يعاقب للمعاوضة أو لإرضاء نفسه، بل لكبح الشر وتطهير الذنب، وعليه فإن جهنم أشبهت مستشفى للمرضى بالأضغان والأحقاد والنفاق إلى غير ذلك من كبائر الآثام. وقد فات الفكر النصراني وجود بدائل كثيرة مقبولة ومتوافقة مع سنن الله الماضية في البشر، وهي جميعاً أولى من اللجوء إلى صلب المسيح تكفيراً للخطيئة ووفاء بسنة الانتقام والعدل بالمفهوم النصراني. ومن هذه البدائل: التوبة، والمغفرة والعفو، ومنها العفو بصدك غفران لا يزيد سعره على بضع دولارات، ومنها الاكتفاء بعقوبة الأبوين على جريمتها، وكل ذلك - عدا المغفرة بالدولارات - من سنن الله التي يقرها الكتاب المقدس.

التوبة من الذنب كفارة له

فلئن كان ثمة تنازع بين الرحمة والعدل - كما يزعم النصارى - فإن من أهم مخارج المسألة التوبة التي ذكر الله في القرآن أن آدم صنعها، وهي باب عظيم من أبواب فضل الله، جعله للخاطئين.

التوبة تغسل الذنب وتنقي القلب، فيكون الخاطيء التائب حبيباً إلى الله، فلم لا يقول النصارى بأن آدم تاب وقبلت توبته، لم يصرون على القصاص، ولم يصر

مقدسهم بولس أنه " بدون سفك دم لا تحصل مغفرة " (عبرانيين 9/22).

لقد تحدثت نصوص التوراة والإنجيل بإسهاب عن التوبة وقصصها قبول الله لها.

فها هو المسيح يجلس مع العشارين والخطاة، فيتذمر الفريسيون والكتبة لذلك قائلين: " هذا يقبل خطاة ويأكل معهم " (لوقا 15/2) فأراهم المسيح حرصه على التوبة وفرحة الله بالتائب " وكلمهم بهذا المثل قائلاً: أي إنسان منكم له مائة خروف وأضاع واحداً منها، ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لأجل الضال، حتى يجده، وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحاً ويأتي إلى بيته، ويدعو الأصدقاء والجيران قائلاً لهم: افرحوا معي، لأنني وجدت خروفي الضال.

أقول لكم: إنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئي واحد يتوب... " (لوقا 15/3-7)، وعليه فالتوبة مقبولة عند الله كوسيلة للخلاص من الذنب، ولا تتناقض مع قدر الله القاضي بالقصاص من العاصي.

كما ضرب للتوبة وأهلها ومنزلتها مثلين آخرين، فقد شبههم الفرخ بالتائب بالفرخ بعودة الابن الضال والعتور على الدرهم الضائع. (انظر لوقا 15/8 - 32).

ولقد وعد الله التائبين بالقبول ففي حزقيال " فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياها التي فعلها، وحفظ كل فرائضي وفعل حقاً وعدلاً، فحياة يحيا، لا يموت، كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه، بره الذي عمل يحيا، هل مسرة أسر بموت الشرير " (حزقيال 18/21-23).

وفي إشعيا يؤكد الوعد فيقول: " ليعترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره، وليتب إلى الرب فيرحمه، وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران " (إشعيا 55/7)، فالرب الحليم الرحيم يعد عباده العاصين بالرحمة حال توبتهم، من غير أن يتناقض عدله مع رحمته، إذ هو يفعل ما يريد. ويقول يوحنا المعمدان مخاطباً اليهود مذكراً إياهم بأهمية التوبة: " يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي، فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة، ولا تفكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً " (متى 3/7-9)، فالتوبة هي الطريق، وليس النسب كما ليس الفداء.

يستحق، فهو توفية الناس حقهم بلا نقص في الأجر، ولا زيادة في العقاب.

وعليه فأخلاف الوعيد لا يتعارض مع العدل، بل هو كرم الله الذي قد يمنحه للمسيئين، عفواً منه ومغفرة جل وعلا، فهو العفو الرحيم.

والعفو من الصفات الإلهية التي اتصف بها الرب، وطلب من عباده أن يتصفوا بها، وهو أولى بها لما فيها من كمال وحُسن، وقد عفا عن بني إسرائيل "رضيت يا رب على أرضك، أرجعت سبي يعقوب، غفرت إثم شعبك، سترت كل خطيتهم، سلاه، حذت كل رجلك، رجعت عن حمو غضبك" (المزمور 1-85/3).

ويقول بولس: " طوبى للذين غفرت آثامهم وسترت خطاياهم، طوبى للرجل الذي لا يحسب له الرب خطية" (رومية 4/7-8)، فثمة أناس عفا الله عن خطاياهم وذنوبهم وسترها عليهم، من غير دم يسفك عنهم ولا تناقض بين عدل الله ورحمته بشأنهم.

وقد علم المسيح تلاميذه خلق العفو، وضرب لهم مثلاً قصة العبد المديون والمدين (انظر متى 18/23 - 34).

وكان بطرس قد سأل المسيح: " يا رب كم مرة يخطئ إليّ أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟ قال له يسوع: بل إلى سبعين مرة" (متى 18/21 - 22).

ومرة أخرى قال لهم: " أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبئكم الذي في السماوات، فإنه تشرق شمس على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين "

(متى 5/44 - 45)، فالعفو عن الخاطئين صفة مدح، الله أولى بها من عباده، وهو أقدر منهم وأغنى جل وعز.

ولم لا يكون العفو بصك غفران يمنحه الله لأدم، ويجنب المسيح ويلات الصلب والامه، أو لم لا يجعل للمسيح فدية عن الصلب، كما جعل لإبراهيم فدية بها ابنه إسماعيل.

وكذا فإن إصرار النصارى على أنه لا تكون مغفرة إلا بسفك دم (انظر عبرانيين 9/22) ترده نصوص أخرى أخبرت أن الله قد يرفض الذبائح ولا يرتضيها وسيلة للخلاص، منها ما جاء في متى: " إنني أريد رحمة لا ذبيحة،

لأني لم آت لأدعو أبراراً، بل خطاة إلى التوبة " (متى 9/13).

وفي التوراة أن الله قال لبني إسرائيل: " بغضتُ، كرهتُ أعيادكم، ولست ألتذُّ باعتكافاتكم، إني إذا قدمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضي، وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها " (عاموس 5/21 - 22)، فالذي يريده الله منهم هو العمل الصالح، لا الذبيحة فقط. وفي سفر المزامير " يا رب افتح شفطي فيخبر فمي بتسبيحك، لأنك لا تسرُّ بذبيحة، وإلا فكنت أقدمها، بمحرقة لا ترضى، ذبائح الله هي روح منكسرة، القلب المنكسر والمنسحق " (المزمور 15/15-17). فليست الذبيحة الوسيلة الأقرب لرضوان الله، بل أفضل منها العمل الصالح، والقلب المنكسر المتذل لله العظيم.

الاكتفاء بالعقوبة التي نالها الأبوان

لكن النصارى يمنعون أن يعفو الله عن آدم وأبنائه، ويصرون أن لابد من العقوبة المستحقة لهم، لكنهم قد نالوها بالفعل، فما بال الخطيئة تتوارث وعقوبتها في أبنائهم، أفليس تكرر العقوبة للعاصي صورة من صور الظلم الذي يتنزه عنه الله! ذكر سفر التكوين أن الله توعد آدم بالموت إن هو أكل من الشجرة.

لكنه بدلاً عن أن يموت وزوجه جزاء خطيئتهما وتنطفئ الغتنة والفساد والشر في المهد، بدلاً من ذلك كثر نسلهما، فكان ذلك حياة لهما لا موتاً، وكان سبباً في زيادة الشر والفساد على الأرض.

ثم إضافة للموت الذي لم يتحقق عاقبه بقوله: " ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الحقل بعرق وجهك تأكل خبزاً، حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب وإلى تراب تعود " (التكوين 3/17 - 19)، فطرد آدم من الجنة ليعيش في الأرض ويكد فيها، فتلك عقوبته. وكذلك فإن زوجه حواء عوقبت " تكثيراً أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك " (التكوين 3/16).

لقد عوقب آدم وحواء إذأ، ونلاحظ في العقوبة شدة متمثلة في لعن الأرض كلها والأتعاب الطويلة للرجال

(1
والنساء، ونلاحظ أن ليس ثمة تناسباً بين الذنب والعقوبة،
فقد كان يكفيهم الإخراج من الجنة.
وقد بقيت هذه القصصات من لدن آدم حتى جاء
المسيح الفادي، ثم ماذا؟ هل رفعت هذه العقوبات بموت
المسيح؟ هل رفعت عن المؤمنين فقط أم أن شيئاً لم
يتغير؟

وهذا هو الصحيح، فما زال الناس يموتون من لدن
المسيح، يموت أبرارهم وفجارهم، فلم يبطل حكم الموت
فيهم - كما ذكر بولس -: " مخلصنا يسوع الذي أبطل
الموت، وأثار الحياة والخلود " (تيموثاوس (2) 1/10)،
وقوله: " بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم،
وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ
أخطأ الجميع " (رومية 5/12).

فالمسيح لم يبطل بصلبه ولا بدعوته أي موت، لا الموت
الحقيقي ولا الموت المجازي، إذ مازال الناس في
الخطيئة يتسربلون، ثم بعد ذلك يموتون.

وأما الموت الحقيقي فليس في باب العقوبة في
شيء، بل هو أمر قد كتب على بني آدم، برهم وفاجرهم
على السواء، قبل المسيح وبعده، وإلى قيام الساعة، كما
كتب الموت على الحيوان والنبات، فما بالهم يموتون؟
وهل موتهم لخطأ جدهم وأصلهم الأول أم ماذا؟!
ثم إن هناك من لا يملك النصارى دليلاً على موتهم،
فنجوا من الموت من غير فداء المسيح، وذلك متمثل في
أخنوخ وإيليا اللذين رفعا إلى السماء وهم أحياء كما في
الأسفار المقدسة (انظر تكوين 5/24، وملوك (2) 2/11،
وعبرانيين 11/5).

وعليه نستطيع القول بأن ليس ثمة علاقة بين الموت
وخطيئة آدم.

وكذلك فإن القصصات الأخرى ما تزال قائمة فما زال
الرجال يكدون ويتعبون، وما تزال النساء تتوجع في
الولادة ويستوي في ذلك النصارى المفديون - حسب
العهد الجديد- بدم المسيح وغيرهم.

والعجب من إصرار النصارى بعد وقوع هذه العقوبات
على أن الذنب ما زال مستمراً، وأنه لا بد من فادٍ بعد هذه
العقوبات الشديدة.

ويزداد العجب لنسبة النصارى الغائلة لله عز وجل ونسبة الغضب المتواصل بسبب ذنب آدم طوال قرون عدة.

ولنا أن نسأل كيف جهل الأنبياء ذلك فلم يذكروه في كتبهم كما لم يذكره المسيح ولم يعرفه تلاميذه من بعده، حتى جاء به بولس وآباء الكنيسة فكشفوا ما غاب عن الأنبياء والمرسلين.

مسئولية الإنسان عن عمله ومما يبطل نظرية وراثه الذنب أيضاً النصوص التي تحمل كل إنسان مسئولية عمله. وقد تعاقب الأنبياء على التذكير بهذا المعتقد في نصوص كثيرة ذكرتها التوراة والأنجيل. ومنها ما جاء في التوراة " وكلم الرب موسى وهارون قائلاً: افترزنا من بين هذه الجماعة، فأني أفنيهم في لحظة، فخراً على وجهيهما وقالوا: اللهم إله أرواح جميع البشر، هل يخطئ رجل واحد فتسخط على كل الجماعة " (العدد 26/23)، واستجاب الله لهما فعذب بني قورح فقط.

وجاء في سفر المزامير: " الأخ لن يفدي الإنسان فداءً، ولا يعطي الله كفارة عنه " (المزمور 49/7). وأيضاً في التوراة: " لا تموت الآباء لأجل البنين، ولا البنون يموتون لأجل الآباء، بل كل واحد يموت لأجل خطيته " (الأيام 2) (25/4). وأيضاً يقول المسيح: " فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله " (متى 16/27).

وهو عين كلام المسيح: " كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين، لأنك بكلامك تبرر، وبكلامك تدان " (متى 12/36). والعجب أنه قد ورد إثبات مسئولية الإنسان عن عمله في كلام بولس الذي ابتدع معتقد وراثه الذنب، ومنها قوله عن الله: " الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله " (رومية 2/6).

من الفادي ؟

ورغم هذه العقوبات والمخارج فإن النصارى يقولون بلزوم الفداء والقصاص، فلم لا يكون القصاص في آدم وحواء، فيحييهما الله ويصلبهما، أو يصلب بدلاً منهما شيطاناً أو سوى ذلك، فإن ذلك، أعدل من صلب المسيح البريء.

يجيب النصارى بأنه لا بد في الكفارة أن تكون شيئاً يعدل البشر جميعاً، من غير أن يحمل خطيئتهم الموروثة، وهذه الشروط لا تتوافر في آدم وغيره، بل هي لا تتوفر إلا في المسيح الذي تجسد وتأنس من أجل هذه المهمة العظيمة فكان أوان خلاصنا ورحمة الله بنا كما قال لوقا: " لأن ابن الإنسان قد جاء، لكي يصلب ويخلص ما قد هلك " (لوقا 19/10) و " لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، كي لا يهلك كل من يؤمن، بل تكون له الحياة الأبدية، ولأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص " (يوحنا 3/16 - 17).

فالمسيح يتميز عن سائر البشر بأنه ولد طاهراً من إصر الخطيئة، ولم يصنعها طوال حياته، فهو وحده الذي يمكن أن يصير فادياً وأن يقبل به الفداء، وكما يقول بطرس: " عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى: بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح " (بطرس 1) (1/18 - 19)، ويقول بولس: " يسوع ابن الله فلنتمسك بالإقرار... بل مجرب في كل شيء مثلنا، بلا خطية " (عبرانيين 4/14-15).

لكن المسيح لا يمتاز هنا عن كثيرين من الأبرار والمؤمنين الذين لم يفعلوا خطيئة ولا ذنباً، "كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية " (يوحنا 1) (3/9)، ولا يخفى أن كل المؤمنين مولودون من الله " وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا : أولاد الله، أي المؤمنين باسمه " (يوحنا 1/12). أما كان صلب أحد هؤلاء كفارة أولى من صلب الإله؟

لكننا نرى أن شرط النصارى في براءة الفادي من الذنب لم يتحقق حتى بالمسيح، رغم أن الشرط وضع وفق مواصفات النصارى له، فالمسيح عندهم جسد أرضي ويكتنفه حلول إلهي، وهم حين يقولون بالصلب فإن أحداً منهم لا يقول بصلب الإله، لكن بصلب الناسوت، والتوراة

تقول: "ليس إنسان لا يخطئ" (الملوك (1) (8/46)،
فالمصلوب هو الناسوت، وليس من إنسان إلا ويخطئ.
كما أن ناسوت المسيح جاءه من مريم التي هي أيضاً
حاملة للخطيئة، فالمسيح بحسده الفادي الحامل للخطيئة
ورثة لا يصلح أن يكون فادياً!
وعلى كل فالمصلوب هو ابن الإنسان، وليس ابن الله،
فالثمن دون الغرض الذي يدفع له، كيف لإنسان أن يعدل
البشرية كلها بدمه؟

والمأمل في نصوص العهد الجديد يراها تنسب
للمسيح - وحاشاه - العديد من الذنوب والآثام التي تجعله
أحد الخاطئين، فلا يصلح حينئذ لتحقيق الخلاص، لحاجته
هو إلى من يخلصه، فالمسيح كما تذكر الأسفار الإنجيلية
سبباً وشريب خمر، مستوجب لدخول جهنم، ومحروم
من دخول الملكوت، وحاشاه عليه الصلاة والسلام.
فقد اتهمه متى بشرب الخمر "جاء ابن الإنسان يأكل
ويشرب. فيقولون: هوذا إنسان أكل وشرب خمر،
محب للعشارين والخطاة" (متى 11/9).

فيما نسبت إليه الأناجيل الكثير من السباب والشتائم،
كما في قوله لتلميذه: "أيها الغبيان والبطيلنا القلوب
في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء" (لوقا 24/25)،
وقوله لبطرس: "اذهب عني يا شيطان" (متى
16/23)، وكذا شتم الأنبياء وتشبيههم باللصوص في
قوله: "قال لهم يسوع أيضاً: الحق الحق أقول لكم: إني
أنا باب الخراف. جميع الذين أتوا قبلي هم سراق
ولصوص" (يوحنا 10/7-8).

وهذا السباب وغيره يستحق فاعله، بل فاعل ما هو
أقل منه نار جهنم، وذلك حسب العهد الجديد، يقول متى:
"ومن قال: يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم" (متى
5/23)، وقال بولس متوعداً الذين يشتمون والذين
يشربون الخمر بالحرمان من دخول الجنة: "ولا سكيرون
ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله" (كورنثوس
1) (6/10)، فمن استحق النار - وحاشاه عليه الصلاة
والسلام - هل يصلح ليفدي البشرية كلها؟!

كما يؤكد المسلمون أن صلب المسيح البريء نيابة عن
المذنب آدم وأبنائه حاملي الإثم ووارثيه نوع من الظلم لا
تقره الشرائع باختلاف أنواعها، ولو عرضت قضية
المسيح على أي محكمة بشرية لصدر في دقيقتين حكم

ببراءته. فكيف رضي النصارى أن ينسبوا الله عز وجل أن يرضى عن مثل هذا الظلم، فيصلب البريء بذنب المذنب، وهو قادر على العفو والمغفرة.

ويجب النصارى بأن ليس في الأمر ظلم، وذلك أن المسيح تطوع بالقيام بهذه المهمة، بل إن نزول لاهوته من السماء وتأنسه كان لتحقيق هذه المهمة العظيمة المتمثلة بخلاص الناس من الإثم والخطيئة.

أما جويل بويد فيتجه اتجاهاً آخر فيرى أن لا ظلم في صلب المسيح، إذ أن المسيح بتجسده الإنساني قد أصبح خاطئاً متقمصاً شخصية الإنسان المحرم الخاطئ، وعليه فقد استحق قول التوراة: " النفس التي تخطئ هي تموت " (حزقيال 18/4).

والقول بتبرع المسيح البريء بالصلب عن الخطاة

مردود من وجوه عدة:

- منها أن المسيح لا يحق له أن يرضى عن مثل هذا الصنيع، فهذا من الانتحار لا الفداء. فقاطع يده أو قاتل نفسه مذنب، مع أن ذلك برضاه ووفق إرادته.
- ومنها أن المسيح صدرت منه تصرفات كثيرة تدل على هروبه من اليهود وكراهيته للموت على أيديهم، ولو كان قد جاء لهذه المهمة، فلم هرب منها مراراً، وصدر عنه ما يشعر بجهله بهذه المهمة.

فقد هرب المسيح من طالبيه مراراً، وحرص على النجاة من مكائدهم (انظر يوحنا 8/59، 10/39، 11/53).
ولما رأى إصرارهم على قتله لم يسلم نفسه، بل خرج من أورشليم، وقال: " بل ينبغي أن أسير اليوم وما يليه، لأنه لا يمكن أن يهلك بني خارجاً عن أورشليم " (لوقا 13/33).

لذا اختار الجليل ملاذاً له من مؤامرة اليهود " وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل، لأنه لم يرد أن يتردد في اليهودية، لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه " (يوحنا 7/1).

وصار يتخفى حين تجبره الظروف على الظهور " فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه، فلم يكن يسوع يمشي بين اليهود علانية " (يوحنا 11/54).

ولما أحس بالمؤامرة أمر تلاميذه بشراء سيوف ليدفعوا بها عنه. (انظر لوقا 22/36 - 38).

ثم هرب إلى البستان، وصلى طويلاً وحزن واكتئب
وتصبب عرقه وهو يطلب من الله " إن أمكن فلتعبر عني
هذه الكأس " (متى 26/39)، لقد طلب من الله أن
يصرف عنه كأس الموت.

ثم لما وضع على الصليب - كما زعموا - صرخ: " إيلي
إيلي، لم شبقنتي، أي: إلهي إلهي، لماذا تركتني؟ "
(متى 27/46)، فلم يكن راضياً عن صلبه، ولا عالمًا
بالمهمة التي زعموا أنه جاء لأجلها.

وصراخ المصلوب اليائس على الصليب اعتبرته دراسة
صموئيل ريماروس (ت 1778م) حجة أساس في نتائجه
التي توصل إليها بعد دراسته الموسعة، فاعتبره دالاً على
أن المسيح لم يخطر بباله أنه سيصلب، خلافاً لما تقوله
الأنجيل.

ومنها: أن المسيح لم يخبر عن هذه المهمة أحداً من
تلاميذه، وأن أحداً منهم لم يعرف شيئاً عن ذلك، كما لم
تخبر به النبوات على جلالة الحدث وأهميته.

ثم إنه قال قبيل الصلب والفداء المفترض: " أنا
مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد
أكملته " (يوحنا 17/5)، فقد أكمل عمله على الأرض
قبل الصلب، فكيف يقال: إنه جاء ليصلب، وقد أكمل
عمله الذي لأجله جاء، ولما يصلب بعد.

وأخيراً: هل تقبل محكمة عادلة متحضرة أن تأخذ
البريء المتطوع لحمل وزر الخطيئة بذنب المجرم
الخاطئ؟ إن أحداً من البشر لا يصنع مثل هذا الخرق، ومن
باب أولى أن يتنزه الله الحكيم عنه.

لم أرسل المسيح ؟

يحصن النصارى مهمة المسيح المتجسد بالصلب
ليتحقق الحب الإلهي للبشر، والمتمثل بالفداء والخلاص ،
كما قال يوحنا: " هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه
الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة
الأبدية " (يوحنا 3/16) .

وهو " الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين
" (رومية 8/32) .

ونص يوحنا قول مهم في بيان مهمة المسيح، لكن
أحداً لم يذكره غير يوحنا، فإما أن يكون القول من عنده
كذباً وزوراً، وإما أن نقول بأن الإنجيليين الثلاثة فرطوا

(7)
 أيما تفريط في ذكر أهم مقتضيات إرسال المسيح، وإما أن تكون الفقرة رأياً ليوحنا وأتباعه ولا تصح عقيدة تتنادى البشرية للإيمان بها.

ويكذب هذا النص المهمات التي أطبقت على ذكرها الأناجيل، فمن لدن بعثة عيسى عليه السلام ذكر أن مهمته تذكير الناس بالقيامة والحساب وبعثة النبي الخاتم " قد تم الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل " (مرقس 1/14).

واستمر في دعوته قائلاً: "إنه ينبغي لي أن أبشر المدن الأخر أيضاً بملكوت الله، لأنني لهذا قد أرسلت" (لوقا 4/43).

ومن مهماته إتمام الناموس، لذا تجده يقول: " لا تظنوا أنني أتيت لأنقض الناموس، أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل " (متى 5/17).

وأعظم مهماته عليه السلام الدعوة لتوحيد الله " وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته، أنا مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل، قد أكملته " (يوحنا 17/3 - 4).

ونص يوحنا السالف في (يوحنا 3/16) معارض أيضاً بسؤال المسيح الله أن يجيز عنه كأس الصلب، فلو كانت تلك مهمته لما جاز سؤاله بإجازة الكأس عنه.

وأما قول بولس في (رومية 8/32) فهو لا يشعر برضا المسيح، بل ناطق بظلم وقسوة لا يصح أن ينسبها لله، ويرد عليه ما يرد على نص يوحنا.

وقد زعم يوحنا أن محبة الله للبشرية هي سبب صلب المسيح فداء عن العالمين. فماذا عن محبة الله للمسيح الذي لم يشفق عليه، وأسلمه لأشنع قتلة وإهانة. فكان كما وصفه بولس: " لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين " (رومية 8/32).

أفما كان له نصيب في هذا الحب؟ ولم يصر النصاري على الحب الممزوج بالدماء؟ هل أرسل الله خالق الكون العظيم ابنه الوحيد إلى هذه البشرية التي لا تساوي في مجموعها كوكباً من الكواكب المتناهية في الصغر، لكي يعاني موتاً وحشياً قاسياً على أعواد الصليب، لترضية النعمة الإلهية - المزعومة - على البشر، ولكي يستطيع أن يغفر للبشرية ذنبها، على شرط أن تعلن البشرية

اعترافها بهذا العمل الهمجي؟ هل هذا ما يريد منا
النصارى تصويره!

ثم إن كان خطأ آدم قد احتاج لتجسد إله وصلبه من أجل
أن يغفر، فكم تحتاج معاصي بنيه من آلهة تصلب؟ إن
جريمة قتل المسيح التي يدعيها النصارى أعظم وأكبر
من معصية آدم، وأعظم منها ما نسبه القوم لأنبيائهم من
القبائح التي لا تصدر إلا عن حثالة البشر.

يقول فولتير: " إذا كانت المسيحية تعتبرنا خطاة حتى
قبل أن نولد، وتجعل من خطيئة آدم سجنًا للبريء
والمذنب، فما ذنب المسيح كي يصلب أو يقتل؟ وكيف
يتم الخلاص من خطيئة بارتكاب خطيئة أكبر؟ "

ولنا أن نتساءل: لم كان طريق الخلاص عبر إهلاك
اليهود وتسليط الشيطان عليهم وإغراء العداوة بين
اليهود والنصارى قرونًا طويلة. إن الحكمة تفرض أن
يكون الفداء بأن يطلب المسيح من تلاميذه أن يقتلوه،
ويجنب اليهود معثرة الشيطان، ويقع الفداء.

وهكذا أسئلة كثيرة تلح تبحث عن الإجابة، وما من
مجيب!

من الذي خلس بصلب المسيح ؟

حار المحققون في فهم نصوص الفداء المتناقضة، كما حاروا في فهم ما يريده النصارى من الغفران، هل الغفران خاص بالنصارى أم أنه عام لكل البشر، وهل هو خاص بذنب آدم الموروث أم أنه عام في جميع الخطايا؟ كما تبقى في ذمة النصارى أسئلة تحير الإجابة عنها، إن كان من إجابة.

منها: لماذا تأخر صلب المسيح طوال هذه القرون ؟ هل كان ثمة حيرة في البحث عن الحل فكان سبباً في التأخير. لماذا لم يصلب المسيح بعد ذنب آدم مباشرة ؟ أو لماذا لم يتأخر الصلب إلى نهاية الدنيا بعد أن يذنب جميع الناس ليكون الصلب تكفيراً لذنوب هؤلاء جميعاً. ثم ما هو مصير أولئك الذين ماتوا قبل الصلب، ماتوا وقد تسربلوا بالخطيئة؟ أين كان مصيرهم إلى أن جاء المسيح فخلصهم؟ لماذا تأخر خلاصهم؟

والسؤال الأهم تحديد من الذين يشملهم الخلاص ؟ هل هو لكل الناس أم للمؤمنين فقط؟ وهل هو خلاص من جميع الخطايا أم من خطيئة آدم؟

لعل الإجابة عن هذين السؤالين من أصعب النقاط التي تواجه الفكر المسيحي، فالكنيسة تقول: " آمنوا بأن المسيح صلب لخلصكم فتخلصون، لأن صلبه فداء لكل خطايا البشر وتكفير لها". ولنتأمل في إجابة النصارى على هذه الأسئلة التي طرحناها.

يقول أوغسطينوس بأن الإنسان وارث للخطيئة، غير مفدي إلا إذا آمن بالمسيح، ودلالة الإيمان التعميد، فمن عمد فدي ونجا، ومن لم يُعمد لا ينجو، ولو كان طفلاً، فإن الأطفال الذين ماتوا قبل التعميد يقول عنهم أكونياس: " سوف لا يتمتعون برؤية ملكوت الرب ".

ولا ندري كيف يبرر أوغسطينوس تعذيب هؤلاء الأطفال وحرمانهم من الملكوت، لا بذنب أذنبوه، بل بخطيئة أورثوها من غير حول لهم ولا قوة، ثم قصر أبائهم فلم يعمدوهم.

وأما الذين ماتوا قبل المسيح فإن أوغسطينوس يرى بأنهم أيضاً لا ينجون إلا بالإيمان بالمسيح. ولم يبين أوغسطينوس كيف يتسنى لهؤلاء الإيمان بالمسيح وقد ماتوا، ولعله أراد ما قاله بطرس عن أن

المسيح " ذهب فكرز للأرواح التي في السجن، إذ عصت قديماً، حين كانت أناة الله تنتظر مرة في أيام نوح... " (بطرس (1) 3/19)، ومراده ما يقوله النصارى بدخول المسيح إلى الجحيم وإخراجه أرواح الناجين من الجحيم.

هل لغير الإسرائيليين خلاص ؟

إن المتأمل في سيرة المسيح وأقواله يرى بوضوح أن دعوة المسيح كانت لبني إسرائيل، وأنه خلال سني دعوته نهى تلاميذه عن دعوة غيرهم، وعليه فالخلاص أيضاً يجب أن يكون خاصاً بهم، وهو ما نقرأه جلياً في قصة المرأة الكنعانية التي قالت له: " ارحمني يا سيد يا ابن داود. ابنتي مجنونة جداً، فلم يجيبها بكلمة واحدة، فتقدم إليه تلاميذه، وطلبوا إليه قائلين: اصرفها لأنها تصيح وراءنا، فأجاب وقال: لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، فأتت وسجدت له قائلة: يا سيد أعني، فأجاب وقال: ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب " (متى 15/22 - 26)، فالمسيح لم يقم بشفاء ابنة المرأة الكنعانية، وهو قادر عليه، فكيف يقوم بالفداء عن البشرية جمعاء؟

ويوضح عبد الأحد داود - في كتابه الإنجيل والصلب - هذا المعنى بقوله: " فها أنذا أقول لهؤلاء المسيحيين الذين يبلغ عددهم الملايين، وهم ليسوا من الإسرائيليين: انظروا، إن مسيحكم لم يعرفكم قطعاً، ولم ينقل عنه أنه قال عنكم حرفاً واحداً، بل إنه سمى غير الإسرائيليين كلاباً... أتعلمون ماذا أنتم حسب شريعة موسى؟ إن الذين لم يختنوا إنما يعدون ملوثين (نجساً) ". ويقول أيضاً في تعليقه على قصة المرأة الكنعانية: " المسيح لم يكن ليفدي أحداً بحياته، بل لم يكن يسمح بتقديم قلامة من أظفاره هدية للعالم، فضلاً عن أنه لم يتعهد للروس والإنجليز والأمريكيين بالنجاة، لأنه لم يعرفهم... ".

فكما كانت رسالته خاصة في بني إسرائيل، فإن خلاصه خاص ببني إسرائيل، بدليل اشتراطهم الإيمان به لحصول الخلاص، وهو أمر لا دليل عليه، حيث إن صلب المسيح وموته لا علاقة له بإيمان هؤلاء أو كفرهم، فالصلب قد تم من أجل الخطايا برمتها، كما ذكرت

(1)
النصوص ذلك غير مرة. (انظر يوحنا 3/16 - 17، ويوحنا)
(1/2/2 ..)
والإصرار على نجاته المؤمنين فقط تجعل تجسد الإله
وصلبه نوعاً من العبث، فهو لم يؤد الدور الذي بعث من
أجله، إذ عدد المؤمنين بمسألة الفداء أقل بكثير من
المنكرين له.

ويرد هنا سؤال يدل على ضبابية فكرة الخلاص
وتأرجحها بين اليهود والأمميين: ما معنى قول بولس
وهو يخاطب نصارى أهل كورنثوس فيقول: " إنه يتضيق
لأجل خلاصهم " (كورنثوس (2) 1/6)، فهل حرموا من
النجاة لأنهم ليسوا يهوداً، وإذا كان الخلاص غير خاص
باليهود فمما يخاف بولس ويحذر، والمفروض أن أهل
كورنثوس قد خلصوا ونجوا، فمما يخاف بولس عليهم؟.

الدينونة دليل بطلان عقيدة الخلاص

وتتحدث النصوص المقدسة عند النصارى عن الدينونة
والجزاء الأخروي الذي يصير إليه العصاة والمذنبون من
النصارى وغيرهم، وهو مبطل لمعتقدات كافة الفرق
النصرانية في الفداء.
فالنصارى يتحدثون في أنجيلهم عن الدينونة التي
يعطيها الله يومئذ للمسيح، ففي يوحنا " وقد أعطاه
السلطان لأن يدين، لأنه ابن إنسان " (يوحنا 5/27).
كما تتحدث النصوص - المقدسة عندهم - أيضاً عن
وعيد في النار لبعض البشر، فدل ذلك على أنهم غير
ناجين خلافاً لقول البروتستانت " متى جاء ابن الإنسان
في مجده وجميع الملائكة والقديسين معه، فحينئذ يجلس
على كرسي مجده... ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار:
اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس
وملائكته.. " (متى 25/31 - 42).
ومثله قوله: " يرسل ابن الإنسان ملائكته، فيجمعون
في ملكوته جميع المعثر، وفاعلي الإثم، ويطرحونهم
في أتون النار " (متى 13/41 - 42).
ومثله أيضاً قول متى: " وأما من قال على الروح
القدس فلن يغفر له، لا في هذا العالم ولا في الآتي " (متى 12/32).

ومثله تهديد يوحنا المعمدان لبني إسرائيل من الاتكال على النسب من غير توبة وعمل صالح، إذ يقول: " يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي، فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة، ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم: لنا إبراهيم أباً " (متى 3/7 - 9).

ويقول المسيح لهم: " أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم " (متى 23/33)، فلم يحدثهم عن الفداء الذي سيخلصون به من الدينونة.

بل توعدهم بجهنم فقال: " خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقي جسدك كله في جهنم " (متى 5/29).

ومثله ما جاء في سفر حزقيال من وعيد الله للذين لا يتوبون من بني إسرائيل أو غيرهم فقال: " توبوا، وارجعوا عن أصنامكم وعن كل رجاساتكم ... لأن كل إنسان من بيت إسرائيل أو من الغرباء ... إذا ارتد عني ... أجعل وجهي ضد ذلك الإنسان، وأجعله آية ومثلاً واستأصله " (حزقيال 14/6 - 8).

وقد خاطب المسيح تلاميذه: " فإني أقول لكم: إنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات .. وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلاً، يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه: رقا، يكون مستوجب المجمع، ومن قال: يا أحمق، يكون مستوجب نار جهنم " (متى 5/20-23).

فلو كان الناس كلهم ينجون بالفداء كما قال البرتستانت، لما كان لهذه النصوص معنى.

ثم إن كان الفداء عاماً لكل البشر ولكل الخطايا، فإن هذا الفداء يشمل الإباحيين الذين يرتكبون الموبقات ويملؤون الأرض بالفساد، وتكون عقيدة الفداء والخلص سُلماً للرديلة ودعوة للتحلل والفساد باسم الدين.

ثم القول بفداء الجميع يجعل ضمن الناجين أعداء الأنبياء كفرعون وقارون واليهود الذي تأمروا على المسيح، كما يشمل يهودا التلميذ الخائن الذي قال عنه المسيح: " كان خيراً لك الرجل لو لم يولد " (مرقس 14/12)، فلماذا تركه المسيح ينتحر؟ ولماذا لم يخبره بأن خلاصه قريب جداً، وأن لا داعي للانتحار.

نقض الناموس

إن أبرز ما يلحظه الدارس لعقيدة الفداء اقترانها ببولس منذ نشأتها، وقد أراد بولس منها أن تكون ذريعة لإلغاء الشريعة والناموس، حيث جعل الخلاص بالإيمان فحسب، من غير حاجة للعمل الصالح، فأضحى الفداء ليس مجرد خلاص من الذنوب، بل هو خلاص حتى من العمل الصالح.

وقد أكثر بولس من التجريح للشريعة الموسوية التي كان المسيح عليه السلام يعظمها ويلتزم بأحكامها، ومن ذلك قوله: " فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها، إذ الناموس لم يكمل شيئاً، ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقرب إلى الله " (عبرانيين 7/18 - 19).

ويقول عن الناموس الذي أتى عيسى عليه السلام لإكماله: " وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال " (عبرانيين 8/13).

ويقول عنه: " فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب، لما طلب موضع لثانٍ " (عبرانيين 8/7).
ويتجنى بولس على شريعة الله فيعتبرها سبباً للخطيئة، فيقول: " لم أعرف خطيئة إلا بالناموس، فإني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس: لا تشته ... لأن بدون الناموس الخطيئة ميتة .. لما جاءت الوصية عاشت الخطيئة، فمت أنا " (رومية 7/7 - 9).

ويسمي بولس الشريعة الإلهية المنزلة على الأنبياء لعنة فيقول: " المسيح افتدانا من لعنة الناموس " (غلاطية 3/13).

ويبرر تسميته أوامر الله وشريعته باللعنة، بأنها سبب حلول اللعنة عند عدم الامتثال لأوامره تبارك وتعالى " لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب: ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في الكتاب الناموس ليعمل به، ولكن إن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله " (غلاطية 3/10 - 11).

ويعلن عن عدم الحاجة إلى هذا الناموس بعد صلب المسيح: " قد كان الناموس مؤدينا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان، ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب " (غلاطية 3/24 - 25).

ويؤكد إبطال الناموس فيقول: " سلامنا الذي جعل
الاثنين واحد ... مبطلاً بجسده ناموس الوصايا " (أفسس
15-2/14).

ويقول: " الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل
بإيمان يسوع، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما "
(غلاطية 2/16).

وأما أولئك الذين يصرون على العمل بالناموس والنجاة
من خلال التزام أوامر الله، فيرى بولس - الذي لم
يتشرف برؤية المسيح - أنهم يسيئون للمسيح المخلص "
قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس "
(غلاطية 5/4)، لأنه " إن كان بالناموس بر، فالمسيح إذا
مات بلا سبب " (غلاطية 2/21)، " أبناموس الأعمال، كلا،
بل بناموس الإيمان، إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر
بالإيمان، بدون أعمال الناموس " (رومية 3/27-28).

وينعي بولس على اليهود الذين يطلبون البر عن
طريق الإيمان، من غير أن يدركوه كما أدركته الأمم التي
أمنت ولم تعمل بأحكام الناموس " إن الأمم الذين لم
يسعوا في أثر البر أدركوا البر، البر الذي بالإيمان، ولكن
إسرائيل وهو يسعى في أثر ناموس البر، لم يدرك
ناموس البر، لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان، بل كأنه بأعمال
الناموس، فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة " (رومية 9/30
- 31).

ويقول أيضاً: " الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا
بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي
أعطيت لنا في المسيح يسوع، الذي أبطل الموت، وأثار
الحياة والخلود " (تيموثاوس (2) 1/9 - 10).
ويواصل: " ظهر لطف فخلصنا إله وإحسانه، لا
بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا
بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس " (تيطس 3/4
- 5).

ولذلك فإن بولس يعلن إباحته لكل المحرمات من
الأطعمة مخالفاً التوراة وأحكامها (انظر التثنية 14/1-
24)، فيقول: " أنا عالم ومتيقن في الرب يسوع أن لا
شيء نجس في حد ذاته، ولكنه يكون نجساً لمن يعتبره
نجساً " (رومية 14/14)، ويقول: " كل شيء طاهر
للأطهار، وما من شيء طاهر للأنجاس " (تيطس 1/15)،

"لأن كل خليفة الله جيدة، ولا يرفض شيء إذا أخذ مع الشكر" (تيموثاوس (1) 4/4). وهكذا وفي نصوص كثيرة أكد بولس أن لا فائدة من العمل الصالح والشرعية في تحصيل النجاة، وأن البر إنما يتحقق بالإيمان وحده.

وقد كان لهذه النصوص البولسية صدى كبير في النصرانية ونظرتها للشرعية.

فيقول لوثر أحد مؤسسي المذهب البروتستانتي: " إن الإنجيل لا يطلب منا الأعمال لأجل تبريرنا، بل بعكس ذلك، إنه يرفض أعمالنا ... إنه لكي تظهر فينا قوة التبرير يلزم أن تعظم أثامنا جداً، وأن تكثر عددها ".

ويقول في تعليقه على يوحنا 3/16: " أما أنا فأقول لكم إذا كان الطريق المؤدي إلى السماء ضيقاً وجب على من رام الدخول فيه أن يكون نحيلاً رقيقاً ... فإذا ما سرت فيه حاملاً أعدالاً مملوءة أعمالاً صالحة، فدونك أن تلقيها عنك قبل دخولك فيه، وإلا لامتنع عليك الدخول بالباب الضيق .. إن الذين نراهم حاملين الأعمال الصالحة هم أشبه بالسلاحف، فإنهم أجانب عن الكتاب المقدس، وأصحاب القديس يعقوب الرسول، فمثل هؤلاء لا يدخلون أبداً ".

ويقول: " إن السيد المسيح كي يعتق الإنسان من حفظ الشريعة الإلهية قد تممها هو بنفسه باسمه، ولا يبقى على الإنسان بعد ذلك إلا أن يتخذ لنفسه، وينسب إلى ذاته تتميم هذه الشريعة بواسطة الإيمان، ونتيجة هذا التعليم هو أن لا لزوم لحفظ الشريعة، ولا للأعمال الصالحة ".

ويقول ميلا نكتون في كتابه " الأماكن اللاهوتية ": " إن كنت سارقاً أو زانياً أو فاسقاً لا تهتم بذلك، عليك فقط أن لا تنسى أن الله هو شيخ كثير الطيبة، وأنه قد سبق وغفر لك خطاياك قبل أن تخطئ بزمن مديد ".

ويقول القس ليب ميخائيل: " الأعمال الصالحة حينما تؤدي بقصد الخلاص من عقاب الخطيئة تعتبر إهانة كبرى لذات الله، إذ أنها دليل على اعتقاد من يقوم بها، بأن في قدرته إزالة الإساءة التي أحدثتها الخطيئة في قلب الله عن طريق عمل الصالحات... وكان قلب الله لا يتحرك بالحنان إلا بأعمال الإنسان، وبإله من فكر شرير ومهين "

وهذا كله مستقى من بولس حين قال: " الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس.. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما.. لأنه إن كان الناموس بر، فالمسيح إذا مات بلا سبب " (غلاطية 2/16 - 21). وهكذا كانت عقيدة الخلاص البولسية سبيلاً لإلغاء الشريعة والتحلل من التزاماتها.

الخلاص والأعمال عند المسيح وتلاميذه وإذا كان بولس ولوثر ومن بعده لا يربان للأعمال والناموس فضلاً في تبرير الإنسان وفدائه فإن ثمة نصوص كثيرة تشهد بخرابة هذه الفكرة عن المسيح وأتباعه، إذ الأعمال حسب تعليمهم هي الطريق إلى ملكوت الله الأخرى. ومن ذلك أن المسيح أمر بالتزام الشريعة "خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون" (متى 23/1-3). وفي شأن الناموس وتعظيمه قال المسيح: " زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس " (لوقا 16/17).

ولم يذكر المسيح في نصائحه لأتباعه شيئاً عن الخلاص بغير عمل، فقد جاءه رجل: " وقال له: أيها المعلم الصالح: أية صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالح إلا واحد، وهو الله، ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا. قال له: أية الوصايا؟ فقال يسوع: لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد بالزور... " (متى 19/16 - 20)، فلم يطلب منه المسيح الإيمان فقط، بل طالبه بالعمل بما جاء في وصايا موسى عليه السلام (انظر الخروج 20/1 - 7).

وفي مرة أخرى قال المسيح لتلاميذه: " فإني أقول لكم: إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين، فلن تدخلوا ملكوت السماوات " (متى 5/20)، فلئن كان بطرس ويوحنا محجوبين عن الملكوت إلا بعمل صالح

يشفع لهما، فماذا عن مصير أولئك الذين تبعوا بولس وأبطلوا الناموس.

ويشرح النص العلامة ديدات: " أي لا حنة لكم حتى تكونوا أفضل من اليهود. وكيف تكونون أفضل من اليهود، وأنتم لا تتبعون الناموس والوصايا ؟ ". وفي موضع آخر يقول المسيح ، وهو ينبه إلى أهمية الكلام وخطر اللسان، فيقول: " أقول لكم: إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين، لأنك بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان " (متى 13/36-37).

والذين يعملون الصالحات هم فقط الذين ينجون يوم القيامة من الدينونة، فيما يحمل الذين عملوا السيئات إلى الجحيم، من غير أن يكون لهم خلاص بالمسيح أو غيره، " تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة " (يوحنا 29-5/28).

وأكد المسيح على أهمية العمل الصالح والبر، فقال للتلاميذ: " ليس كل من يقول: لي يا رب يا رب، يدخل ملكوت السموات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات، كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب، أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أصرح لهم: إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم " (متى 7/20-21)، فهؤلاء الذين يصنعون المعجزات والقوات باسم المسيح، سيتنكر لهم ويتخلى عنهم يوم القيامة، لما ارتكبوه من الموبقات، أي لمخالفتهم لناموس الله وشريعته.

وقد ضرب المسيح عليه السلام لتلاميذه مثلاً، بين فيه حال العامل بالناموس فقال لهم: " لماذا تدعونني يا رب يا رب، وأنتم لا تفعلون ما أقوله؟ كل من يأتي إلي، ويسمع كلامي، ويعمل به، أريكم من يشبه؟ يشبه إنساناً بنى بيتاً وحفر وعمق، ووضع الأساس على الصخر، فلما حدث سيل صدم النهر ذلك البيت، فلم يقدر أن يزعه، لأنه كان مؤسساً على الصخر.

وأما الذي يسمع ولا يعمل، فيشبه إنساناً بنى بيته على الأرض، ومن دون أساس، فصدمه النهر حالاً، وكان خراب ذلك البيت عظيماً " (لوقا 6/46 - 49) .

والمسيح عليه السلام لم يعلم شيئاً عن رفع الشريعة ونسخها بدمه كما زعم بولس، لذا نراه وعبر أقواله وأفعاله يؤكد على العمل بالناموس في مستقبل الأيام، فها هو يحذر تلاميذه مما سيصيبهم حين ظهور رجسة الخراب التي أخبر عنها دانيال، ويشفق عليهم أن تكون في سبت أو شتاء، حيث يصعب الهرب في الشتاء، ويمتنع ديانة في السبت، الذي كان يحترمه المسيح، كما أمر بذلك ناموس موسى، يقول: " فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس، ليفهم القارئ، فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال ... وصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء ولا في سبت، لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن " (متى 24 / 15 - 21) .

وكذا النسوة اللاتي تبعن جنازة المصلوب لم يعرفن شيئاً عن رفع الشريعة ونسخها بموت المسيح، فقد استرحن في السبت معظمت للوصية التوراتية " فرجعن وأعددن حنوطاً وأطياباً، وفي السبت استرحن حسب الوصية " (لوقا 23/56)، فما بال النصارى اليوم يعملون بالسبت ولا يحترمونه، كما يصنع اليهود!

لقد أدرك المسيح والنسوة أن العمل يوم السبت خرق للشريعة الأبدية التي أمر الله بها في التوراة، فقد جاء فيها " أما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدّس للرب، كل من صنع عملاً في يوم السبت يقتل قتلاً، فيحفظ بنو إسرائيل السبت، ليصنعوا السبت في أجيالهم عهداً أبدياً، هو بيني وبين بني إسرائيل علامة إلى الأبد " (الخروج 17-31/15) .

وليس عهد السبت العهد الأبدي الوحيد الذي طالبت به شريعة الله، بل الختان أيضاً، فقد جاء في سفر التكوين " يختن ختاناً وليد بيتك والمبتاع بفضتك، فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً، وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته، فتقطع تلك النفس من شعبها، إنه قد نكت عهدي " (التكوين 13/17-14)، إن الذين لا يختنون من نصارى اليوم قد نكثوا عهد الله الأبدي، وتبطلوا عن شرعه وهديه .

ويلاحظ أدولف هرنك أن رسائل التلاميذ خلت من معتقد الخلاص بالفداء، بل إنها جعلت الخلاص بالأعمال كما جاء في رسالة يعقوب " ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد: إنَّ له إيماناً، ولكن ليس له أعمال، هل يقدر الإيمان أن يخلصه؟ " الإيمان أيضاً إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته .. الإيمان بدون أعمال ميت " (يعقوب 2/14 - 20) . ويقول: " كونوا عاملين بالكلمة، لا سامعين فقط، خادعين نفوسكم " (يعقوب 1/22)، ويقول: " الديانة الطاهرة النقية عند الله الأب هي هذه: افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم " (يعقوب 1/27) .

ويقول بطرس: " بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه. بل في كل أمة، الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده " (أعمال 10/34) . ومثل هذا كثير في أقوال المسيح والحواريين.

والعجب أن بولس نفسه الذي أعلن نقض الناموس وعدم فائدة الأعمال، وأن الخلاص إنما يكون بالإيمان، هو ذاته أكد على أهمية العمل الصالح في مناسبات أخرى، منها قوله: " إن الذي يزرعه الإنسان، إياه يحصد أيضاً ... فلا تفشل في عمل الخير لأننا سنحصده في وقته " (غلاطية 6/7) .

ويقول: " بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون " (رومية 2/13) .

ومنها قوله: " ليس الختان شيئاً وليست الغرلة شيئاً، بل حفظ وصايا الله " (كورنثوس (1) 7/19) . وفي رسالته لتيموثاوس يقول بولس: " أوصي الأغنياء ... وأن يصنعوا صلاحاً، وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة وأن يكونوا أسخياء في العطاء، كرماء في التوزيع، مدخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل، لكي يمسكوا بالحياة الأبدية " (تيموثاوس (1) 6/17 - 19) .

ويقول: " كل واحد سيأخذ أجرته حسب تبعه " (كورنثوس (1) 3/8) .

وأخيراً فإن بولس بتنقصه السالف للناموس وإبطاله له مستحق للوعيد الشديد الذي جعله المسيح لمثل هذا الفعل وذلك بقوله: " لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو

نقطة واحدة من الناموس، حتى يكون الكل، فمن نقض
إحدى هذه الوصايا الصغرى، وعلم الناس هكذا يدعى:
أصغر في ملكوت السماوات " (متى 5/17 - 19).
وجاء في سفر التثنية " ملعون من لا يقيم كلمات هذا
الناموس، ليعمل بها " (التثنية 27/26).

مصادر عقيدة الفداء والخلاص

في مجمع نيقية المنعقد في سنة 325م تقررت عقيدة الفداء والخلاص، حين صدر عنه الأمانة وفيها: " الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل وتجسد وتآلم ومات، وقام أيضاً في اليوم الثالث "، فمن أين استقى المجتمعون هذه العقيدة المهمة من عقائد النصرانية.

دور بولس في نشأة فكرة الفداء في النصرانية يعتبر بولس الأب الحقيقي لقصة الفداء والخلاص في النصرانية، حيث تظهر بجلاء ووضوح في كلماته كما قد بينا بعضه من قبل، وأوضحها قوله: " ولكن الله بين محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا، فبالأولى كثيراً، ونحن متبررون الآن بدمه، نخلص به من الغضب، لأنه وإن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه .. من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع ... لكن قد ملك الموت من آدم إلي موسى، وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم، الذي هو مثال الآتي .. لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون، فبالأولى كثيراً نعمة الله، والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين... " (رومية 5/8 - 15).

وقد صرح بولس بأهمية فكرة الفداء عنده إذ قال: " لأنني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً " (كورنثوس (1) 2/2). ويقول في ذلك الأب بولس إلياس الخوري: " مما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس مشاعره، فعبر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم، فأرسل إليهم ابنه الوحيد، ليفتديهم على الصليب ... وهذه الفكرة عينها هي التي هيمنت على إنجيل لوقا ".

ويقول أرنست دي بوش في كتابه " الإسلام: أي النصرانية الحقبة " : إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه،

من الذين لم يروا المسيح، لا من أصول النصرانية الأصلية

ففكرة الفداء والخلاص بدعة بولسية لم يقلها المسيح، ولم يعرفها الحواريون، فنصوص الأناجيل التي تحدثت عن الفداء نصوص لا يفهم منها خالي الذهن تلك العقيدة التي فهمها النصارى.

وعقيدة بهذه الأهمية ما كان المسيح ليضنّ على البشر ببيانها وتوضيحها، إذ يزعمون أن مصير البشرية يتعلق بالإيمان بها، فقد تعلق بها هلاك البشر ونجاتهم. ويحاول النصارى التأكيد على ورود هذا المعتقد على لسان المسيح وتلاميذه، ويتعلقون ببعض نصوص الإنجيليين، ومن هذه النصوص: قول متى: " فستلد ابناً، وتدعو اسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم " (متى 1/21)، ومثله: " إنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب " (لوقا 2/11)، ومثله " لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعدته لجميع الشعوب " (لوقا 2/30)، و " كما أن ابن الإنسان لم يأت ليخدم، بل ليخدم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين " (متى 20/28)، و " هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا " (متى 26/28)، و " لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك " (لوقا 19/10).

ولعل أوضح نصوص الأناجيل ما كتبه يوحنا: " لأنه هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية، لأنه لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم " (يوحنا 3/16 - 17).

وأول ملاحظة نذكرها أن أغلب هذه النصوص هي من قول التلاميذ، ولم ينسبونها للمسيح.

ثم هذه النصوص جميعاً قد كتبت بعد أن دوّن بولس رسائله، فأول الإنجيليين تأليفاً هو مرقس، وقد دوّن إنجيله بعد وفاة بولس سنة 67م.

ولا ريب أن في هذه النصوص - رغم عدم قطعيتها دلالتها على عقيدة النصارى - صدى لما كان قد خطه بولس في رسائله.

وهذه النصوص خلت من الحديث عن الخطيئة الأولى الموروثة وخطايا العالم اللاحقة والماضية، وأين فيها

الحديث عن الحرية المسلوبة، والإرادة ... وعليه فإن خالي الذهن لا يمكن أن يتوصل إلى معتقد النصراري من خلال هذه النصوص، التي يمكن حملها على معاني مجازية، كما لو قيل إن فلاناً ضحى بنفسه من أجل أمته

...

فقد وصف يوحنا المعمدان بالمخلص، وعمله بالفداء، وليس المقصود الفداء الذي يذكره النصراري للمسيح، بل الفداء والتطهير والخلاص بالتوبة والعمل الصالح، وهو سبيل الخلاص من مكر الأعداء وتسلطهم، فقد سمت التوراة موسى فادياً وهو لم يمت كفارة لأحد، " هذا موسى الذي أنكروه قائلين: من أقامك رئيساً وقاضياً، هذا أرسله الله رئيساً وفادياً بيد الملاك الذي ظهر له في العليقة، هذا أخرجهم صناعاً عجائب وآيات في أرض مصر وفي البحر الأحمر، وفي البرية أربعين سنة " (أعمال 7/35).

ويصف لوقا يوحنا المعمدان بالفادي والمخلص، وذلك قبل أن يولد المسيح: " وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس، وتنبأ قائلاً: مبارك الرب إله إسرائيل، لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه. وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه ... خلاص من أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا ... وأنت أيها الصبي نبي العلي تدعى، لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعدّ طريقه، لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم، بأحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا المشرق من العلاء، ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت، لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام " (لوقا 1/67-79).

وعلى هذا النحو سمي التلميذان المسيح فادياً، فقالا: " كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه. ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل " (لوقا 20/24-21)، أي كنا نرجو أن يكون خلاص بني إسرائيل من أعدائهم على يديه، لكنهم صلبوه وقتلوه. وهذا المعنى من معاني الفداء والخلاص معروف في الأسفار التوراتية التي تحدثت عن الفادي من أهوال الدنيا وشدايدها، وهي تذكر نجاته بني إسرائيل من المصائب، " أخرجكم الرب بيد شديدة، وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر " (التثنية 7/8)، ومثله في (التثنية 13/5)، ومثله في قوله: " اغفر لشعبك

إسرائيل الذي فديت يا رب، ولا تجعل دم بري في وسط شعبك إسرائيل، فيغفر لهم " (التثنية 21/8-9) .
وكذا في سفر المزامير سمي الرب فادياً " الرب فادي نفوس عبده، وكل من اتكل عليه لا يعاقب " (المزامير 34/22).

وفي نص آخر يؤكد إشعيا هذا المعنى للفداء والخلص، فيقول: " هكذا قال الرب فادي إسرائيل: قدوسه للمهان النفس، لمكروه الأمة، لعبد المتسلطين " (إشعيا 49/7)، فأطلق على الله لقب الفادي والمخلص، فالفداء أو الخلاص له معانٍ أوسع من الذبيحة والمعاوضة التي يصر عليها بولس.

فهي نصوص تتحدث فداء وخلص، وذلك برحمة من الله وفضل، من غير فاد ولا دم مسفوح.
وقد مال إلى تبسيط معاني تلك النصوص - التي يحتج بها النصارى على الفداء والكفارة - منكرو معتقد الكفارة والفداء من النصارى أنفسهم - كما ذكرت دائرة المعارف البريطانية -، ومنهم الفرقة السوزينية، والمؤرخ كوانليس تيسي، وايبى لارد.

ولئن كانت الفكرة تائها عند الإنجيليين فهي كذلك عند بقية تلاميذ المسيح وحوارييه الذين لا تجد لديهم بقصة الفداء خيراً، فلم ترد عنهم نصوص تبين علمهم بهذه المسألة، وهذا لا ريب دال على كونها من صنع بولس وتأليفه وأن المسيح لم يخبر بها، ولم يعلمها أصلاً.
وفي ذلك يقول شارل جنير: " إن موت عيسى في نظر الإثني عشر ليس بالتضحية التكفيرية " .

والحواريون لم يعلموا أصلاً بأن المسيح سيصلب، فضلاً عن أن يكونوا قد فهموا أنه سيصلب فداء لخطايا الناس، وكما قال مرقس: " كان يعلم تلاميذه، ويقول لهم: إن ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه، وبعد أن يقتل يقوم في اليوم الثالث، وأما هم فلم يفهموا القول، وخافوا أن يسألوه " (مرقس 9/30 - 32).

ويدل على جهل تلاميذ المسيح بمسألة الفداء ما ذكره لوقا حين قال عن حال التلميذين المنطلقين لعمواس " فقال لهما: ما هذا الكلام الذي تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين.....كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه، ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن

يفدي إسرائيل، ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك " (لوقا 24/17-21). لقد جهل التلميذان موضوع الخلاص بموت المسيح، فهما يبحثان عن خلاص آخر، وهو الخلاص الذي يأتي به النبي الذي تنتظره بنو إسرائيل.

وهو خلاص دنيوي سبق أن جاء به كثيرون ، منهم المخلص أهود " وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب، فأقام لهم الرب مخلصاً أهود بن جيرا البنياميني " (القضاة 3/15). وأيضاً جهلت الجموع التي شهدت الصلب أن ذلك الصلب يكفر الخطيئة ويرفعها، ولنتأمل ما ذكره لوقا في وصف الجموع وحزنهم على المسيح " وكل الجموع الذين كانوا مجتمعين لهذا المنظر لما أبصروا ما كان، رجعوا وهم يقرعون صدورهم، وكان جميع معارفه ونساء كن قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرن ذلك " (لوقا 23/48 - 49).

ولو كان ما يقوله النصارى في الفداء صحيحاً لكان ينبغي أن يحتفلوا بموت المسيح لخلاص البشرية وخلصهم من الذنب الذي ناءت بحمله البشرية قروناً مديدة.

عقيدة الغداء والوثنيات السابقة

سؤال يطرح نفسه: من أين أتى بولس بهذه العقيدة؟ هل هي من إبداعاته الذاتية أم أنه استقاها من مصادر قديمة؟ وإن كان كذلك فما هي هذه المصادر؟ وما مقدار استفادة بولس منها؟

الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها سطرها الأستاذ محمد طاهر التير في كتابه الممتع "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية"، وعنه ننقل الكثير من صور التشابه التي نذكرها.

وراثه الذنب

مسألة وراثه الذنب مسألة معروفة في الفكر اليهودي قبل المسيحية بقرون عدة، وقد وردت عدة نصوص تتحدث عنها وتؤكد لها، منها "صانع الإحسان لألوف، ومجازي ذنب الآباء في حزن بنهم بعدهم، الإله العظيم الجبار رب الجنود اسمه" (إرميا 32/18).

ومثله ما جاء في سفر التثنية: "لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر" (التثنية 23/2).

وجاء في سفر العدد "الرب طويل الروح كثير الإحسان يغفر الذنب والسيئة، ولكنه لا يبرئ، بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع" (العدد 18/14 - 19).

وفي سفر الخروج "غافر الإثم والمعصية والخطيئة، ولكنه لن يبرئ إبراء، مفقود إثم الآباء في الأبناء، وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع" (الخروج 34/7).

ومثله ما نسبوه لدواد أنه قال: "هأنذا بالإثم صورت، وبالخطيئة حبلت بي أمي" (المزمور 51/5)، وقد تحدث إرميا عن احتجاج بني إسرائيل على هذا الظلم (انظر إرميا 16/10 - 13).

وقد ناقش النبي حزقيال - كما جاء في سفره - بني إسرائيل في مسألة وراثه الذنب "أنتم تقولون: لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب؟!

ها كل النفوس هي لي ... النفس التي تخطئ تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون ..."

(حزقيال 18/4 - 32).

وقد أقرت هذه النصوص التوراتية عقيدة وراثه الذنب والتضامن في الخطيئة، غير أن أحداً منها لم يكن يتحدث عن الخطيئة الأصلية لآدم، والتي يتعلق النصارى بها، لكن أصل الفكرة وارد في الفكر اليهودي الذي نشأ فيه بولس ثم نقله للنصرانية وسطره في رسائله.

فمن أين جاء اليهود بفكرة وراثه الذنب ؟ هل هو من صناعتهم، أم أنه منقول عن غيرهم؟

والصحيح هو أن فكرة وراثه الذنب منقولة عن الأمم الوثنية التي جاورت اليهود وانتشر فيها هذا الفكر، وهذا الذي عابه عليهم الكتاب المقدس " وصاروا باطلاً وراء الأمم الذين حولهم، والذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم ... فغضب الرب جداً على إسرائيل ونحاهم من أمامه " (الملوك (2) 17/9 - 18) .

ومن أقدم القائلين بوراثه الذنب، الهنود الوثنيون، وقد نقل المؤرخ هورينور وليمس أن من تضراعاتهم: "إني مذنب، ومرتكب الخطيئة، وطبيعتي شريرة، وحملتني أُمي بالإثم، فخلصني يا ذا العين الحندقوقية، يا مخلص الخاطئين، يا مزيل الآثام والذنوب " .

فكرة الفادي في الوثنيات القديمة

سرى في كثير من الوثنيات السابقة على المسيحية فكرة الفادي والمخلص الذي يفدي شعبه أو قومه، وكانت الأمم البدائية القديمة تضحي بطفل محبوب، لاسترضاء السماء، وفي تطور لاحق أضحي الفداء بواسطة مجرم حكم عليه بالموت، وعند البابليين كان الضحية يلبس أثواباً ملكية، لكي يمثل بها ابن الملك، ثم يجلد ويشنق. وعند اليهود خصص يوم للكفارة يضع فيه كاهن اليهود يده على جدي حي، ويعترف فوق رأسه بجميع ما ارتكب بنو إسرائيل من مظالم، فإذا حمل الخطايا أطلقه في البرية.

ومعلوم أيضاً ما يعطيه الفكر اليهودي للبكر من أهمية خاصة، إذ تقول التوراة: " قدس لي كل بكر، كل فاتح رحم من بني إسرائيل من الناس والبهائم إنه لي " (الخروج 13/2)، والمسيح هو بكر الخلائق، وأليقها بأن يكون البكر المذبوح.

موت الإله الفادي

وأما فكرة موت الإله فهي عقيدة وثنية يونانية، حيث كان اليونانيون يقولون بموت بعض الآلهة، لكن اليونان كانوا يحتفظون بآلهة أخرى تسير دفة الكون، بينما النصارى حين قالوا بموت الإله لم يحتفظوا بهذا البديل، ولم يخبرنا أولئك الذين يعتقدون بأن الله هو المسيح من الذي كان يسير الكون ويرعى شئونه خلال الأيام التي مات فيها الإله. أي الأيام الثلاثة التي قضاها في القبر. والفداء عن طريق أحد الآلهة أو ابن الله أيضاً موجودة في الوثنيات القديمة، وقد ذكر السير آرثر فنديلاي في كتابه " صخرة الحق " أسماء ستة عشر شخصاً اعتبرتهم الأمم آلهة سعوا في خلاص هذه الأمم. منهم: أوزوريس في مصر 1700 ق.م، وبعل في بابل 1200 ق.م، وأنيس في فرجيا 1170 ق.م، وناموس في سوريا 1160 ق.م، وديوس فيوس في اليونان 1100 ق.م، وكرشنا في الهند 1000 ق.م، وأندرا في التبت 725 ق.م، وبودا في الصين 560 ق.م، وبرومثيوس في اليونان 547 ق.م، ومترا (متراس) في فارس 400 ق.م.

ولدى البحث والدراسة في معتقدات هذه الأمم الوثنية نجد تشابهاً كبيراً مع ما يقوله النصارى في المسيح المخلص.

فأما بودا المخلص عند الهنود والصينيين فلعله أكثر الصور تطابقاً مع مخلص النصارى، ولعل مرد هذا التشابه إلى تأخره التاريخي فكان تطوير النصارى لذلك المعتقد قليلاً.

والبوذيون - كما نقل المؤرخون - يسمون بودا المسيح المولود الوحيد، ومخلص العالم، ويقولون: إنه إنسان كامل وإله كامل تجسد بالناسوت، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ويخلصهم من ذنوبهم حتى لا يعاقبوا عليها.

وجاء في أحد الترجمات البوذية عن بودا " عانيت الاضطهاد والامتهان والسجن والموت والقتل بصبر وحب عظيم لجلب السعادة للناس، وسامحت المسيئين إليك ". ويذكر مكس مولر في كتابه " تاريخ الآداب السنسكريتية " أن " البوذيون يزعمون أن بودا قال: دعوا الآثام التي ارتكبت في هذا العالم تقع عليّ، كي يخلص العالم ".

ويرى البوذيون أن الإنسان شرير بطبعه، ولا حيلة في إصلاحه إلا بمخلص ومنقذ إلهي.
وكذلك فإن المصريين يعتبرون أوزوريس إلهاً، ويقول المؤرخ بونويك في كتابه " عقيدة المصريين ": " يعد المصريون أوزوريس أحد مخلصي الناس، وأنه بسبب جده لعمل الصلاح يلاقي اضطهاداً، وبمقاومته للخطايا يقهر ويقتل " .

ويوافقه العلامة دوان في كتابه " خرافات التوراة والإنجيل وما يماثلها من الديانات الأخرى " .
كما تحدث المؤرخون عن قول المصريين بقيامة مخلصهم بعد الموت، وأنه سيكون ديان الأموات يوم القيامة .

فإنهم يذكرون في أساطيرهم أن أوزوريس حكم بالعدل، فاحتال عليه أخوه وقتله، ووزع أجزاء جسمه على محافظات مصر، فذهبت أرملته أيزيس فجمعت أوصاله من هنا وهناك، وهي تملأ الدنيا نحيباً وبكاءً، فانبعث نور إلى السماء، والتحمت أوصال الجسد الميت، وقام إلى السماء يمسك بميزان العدل والرحمة.
وكذلك اعتقد الهنود في معبودهم كرشنا أنه مخلص وفادي. يقول القس جورج كوكس: " يصفون كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً، لأنه قدم شخصه ذبيحة " ، ويعتقدون أن عمله لا يقدر عليه أحد.

ويقول المؤرخ دوان في كتابه " خرافات التوراة والإنجيل وما يماثلها من الديانات الأخرى ": " يعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو، والذي لا ابتداء ولا انتهاء له - وفق رأيهم - تحرك حنواً كي يخلص الأرض من ثقل حملها، فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه " ، ومثله يقوله العلامة هوك.
ويصف الهنود أشكالاً متعددة لموت كرشنا أهمها أنه مات معلقاً بشجرة سُمِّر بها بحربة. وتصوره كتبهم مصلوباً، وعلى رأسه إكليل من الذهب، ويقول دوان: " إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود والوثنيين.
وكذلك اعتقد أهل النيبال بمعبودهم أندرا، ويصورونه وقد سفك دمه بالصلب، وثقب بالمسامير، كي يخلص البشر من ذنوبهم كما وصف ذلك المؤرخ هيجين في كتابه: " الانكلو سكسنس " .

وحتى لا نطيل نكتفي بهذه الصور التي اعتقد أصحابها بسفك دم الآلهة قرباناً وفداءً عن الخطايا ومثلها في الوثنيات القديمة كثير.

الدم المسفوح سبيل الكفارة

وليست مسألة المخلص فقط هي التي نقلها بولس عن الوثنيات، فقد تحدث أيضاً عن دم المسيح المسفوح فقال: " يسوع الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه " (رومية 3/25)، ويقول: " ونحن الآن متبررون بدمه " (رومية 5/9)، ويواصل " أليست هي شركة دم المسيح " (كورنثوس 1) 10/16).

ويقول: " أنعم بها علينا في المحبوب الذي فيه لنا الفداء، بدمه غفران الخطايا " (أفسس 1/7). وفي موضع آخر يتحدث عن ذبح المسيح الفادي " لأن فصحناً أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا " (كورنثوس 1) 5/7).

ومثل هذه النصوص تكثر في رسائل بولس، وهي فكرة جد غريبة، فإن المسيح لم يذبح، فالأناجيل تتحدث عن موت المسيح صلباً، لا ذبحاً، الموت صلباً لا يريق الدماء، ولم يرد في الأناجيل أن المسيح نزلت منه الدماء سوى ما قاله يوحنا، وجعله بعد وفاة المسيح حيث قال: " وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه، لأنهم رأوه قد مات، لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة، وللوقت خرج دم وماء " (يوحنا 19/23 - 24). وهو ليس ذبحاً بكل حال.

يقول المحقق ولز: " إنه لزام علينا أن نتذكر أن الموت صلباً لا يكاد يهرق من الدم أكثر مما يريقه الشنق، فتصوير يسوع في صورة المراق دمه من أجل البشرية إنما هو في الحقيقة من أشد العبارات بعداً عن الدقة ". والنظرة إلى الله بأنه لا يرضى إلا بأن يسيل دم الكفارة أو الضحية نظرة قديمة موجودة عند اليهود وعند الوثنيين قبلهم، ففي التوراة تجد ذلك واضحاً في مثل قولها: " بنى نوح مذبحاً لله.. وأصعد محرقات على المذبح، فتنسم الرب رائحة الرضا، وقال الرب في قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان " (التكوين 8/20 - 21)، وكذا صنع داود " وبنى داود هناك مذبحاً للرب، وأصعد محرقات وذبائح سلامة، ودعا الرب، فأجابه

(1)
بنار من السماء على مذبحه المحرقة " (الأيام 1) 21/26 .

وهكذا فإن التصور اليهودي للإله مشبع برائحة الدم ، وهي تصور الإله ساخطاً لا يرضيه إلا الدم والمحرقات، وحينها فقط يتنسم رائحة الرضا، ويرضى عن عباده، يقول آرثر ويجال: "نحن لا نقدر أطول من ذلك قبول المبدأ اللاهوتي المفزع الذي من أجل بعض البواعث الغامضة وجوب تضحية استرضائية، إن هذا انتهاك إما لتصوراتنا عن الله بأنه الكلي القدرة، وإلا ما نتصوره عنه ككلي المحبة " .

ويرى كامل سعبان في كتابه القيم " دراسة عن التوراة والإنجيل " أن ادعاء إهراق دم المسيح مأخوذ من الديانة المثراسية حيث كانوا يذبحون العجل، ويأخذون دمه، فيتلطح به الآثم، ليولد من جديد، بعد أن سال عليه دم العجل الغدية.

نزول الآلهة إلى الجحيم لتخليص الموتى وتشابهت العقائد النصرانية مع الوثنيات القديمة مرة أخرى عندما زعم النصارى أن المسيح نزل إلى الجحيم لإخراج الأرواح المعذبة فيها وتخليصها من العذاب، ففي أعمال الرسل يقول بطرس: "سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح أنه، ولم تترك نفسه في الهاوية⁽¹⁾، ولا رأى جسده فساداً " (أعمال 2/31)، ويقول بطرس في رسالته عن المسيح: " ذهب ليكرز للأرواح التي في السجن " (بطرس 1) (3/19).

وقد أضحت هذه الفكرة الغربية معتقداً نصرانياً يقول عنه القديس كريستوم 347م: " لا ينكر نزول المسيح إلى الجحيم إلا الكافر " .

ويقول القديس كليمندوس الإسكندري: " قد بشر يسوع في الإنجيل أهل الجحيم، كما بشر به وعلمه لأهل

¹() النص اقتباس من بطرس لما ورد في سفر المزامير (16/10)، وهو تحريف لما ورد في الأصل العبراني للمزمور، وفيه: "

תוארל ךדיסח ותת-אל לואשל ישפנ בזעת-אל יכ תחש "، وتعريبه: لن تترك نفسي للهاوية، أي للموت، فيما الترجمة العربية للمزمور تفيد موت المسيح وأن الله لن يتركه في القبر.

الأرض، كي يؤمنوا به ويخلصوا"، وبمثله قال أوريجن وغيره من قديسي النصارى.

وهذا المعتقد وثني قديم قال به عابدو كرشنا، فقالوا بنزوله إلى الجحيم لتخليص الأرواح التي في السجن، وقاله عابد وزورستر وأدونيس وهرقل وعطارد وكوتر لكوتل وغيرهم.

ولما وصل النصارى إلى أمريكا الوسطى، وجدوا فيها أدياناً شتى، فخفّ القسس لدعوتهم للمسيحية، فأدهشهم بعد دراستهم لهذه الأديان أن لها شعائراً تشبه شعائر المسيحية، وخاصة في مسائل الخطيئة والخلاص . فكيف يفسر النصارى هذا التطابق بين معتقداتهم والوثنيات القديمة والذي جعل من النصرانية نسخة معدلة عن هذه الأديان ؟

يقول الأب جيمس تد المحاضر في جامعة أكسفورد: " سر لاهوتي فوق عقول البشر، وليس من الممكن تفسيره حسب تفسير وتصور هؤلاء البشر".

وقد صدق الله تبارك وتعالى، فأخبر أن ذلك الذي يقوله النصارى إنما هو مضاهاة لأقوال الأمم الوثنية وانتحال للساقط من أفكارهم .

للساقط من أفكارهم . (:) .

خاتمة

وبعد: وصلنا في نهاية مطافنا إلى إجابة سؤالنا الرابع في سلسلتنا، سلسلة الهدى والنور، حيث أجبنا بموضوعية ومنهجية علمية محايدة عن سؤالنا في هذه الحلقة: هل افتدانا المسيح على الصليب؟

لقد كشفت لنا الدراسة الموثقة عن جملة حقائق لا يسع الباحث عن الحقيقة إلا أن ينحني لها، فقد ثبت لدينا نجاة المسيح عليه السلام من الصلب كما أنبأنا بذلك أسفار العهد القديم، وكما وعد المسيح أتباعه في العهد الجديد، ورأينا مكر الله يحق بالتلميذ الخائن الذي خان سيده، فانتشبت أرجله في الشبكة التي أخفاها، ووقع في الحفرة التي حفرها.

ورأينا ما يثبت ما توصلنا إليه، فقد سجلته الدلائل المتناثرة في زوايا الكتاب المقدس، وقرأنا سطورَه في تاريخ النصرانية، حيث تواصل إنكار النصارى لهذا الصلب المزعوم عبر تاريخ النصرانية القديم.

كما ثبت لدينا عند دراسة الشق الثاني أن البشر بريئون مما صنعه آدم في القديم، وأن خطيئته لا تتجاوزَه إلى غيره.

ووضح لنا بالأدلة المتكاثرة أن ما يزعمه النصارى من توارث الخطيئة الأولى ولزوم الفداء بكائن إلهي، إنما هو هراء تستقذره العقول وترده الفطر، وهو ظلم يتنزه الله عنه، وقد نقله بولس والمجتمعون بعده في مجمع نيقية من قصص الوثنيات السابقة للنصرانية.

ولنا لقاء يتجدد - بإذن الله - مع حلقة جديدة من حلقات سلسلة الهدى والنور، وحديثنا في الحلقة القادمة، وهي الخامسة، بعنوان: هل بشر الكتاب المقدس بمحمد صلى الله عليه وسلم؟

المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم.
* الكتاب المقدس. طبعة : دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
* إنجيل برنابا. ترجمة : خليل سعادة. ط. دار الوثائق. الكويت، 1406 هـ.
-
- * الإنجيل والصليب. عبد الأحد داود. القاهرة، 1351 هـ.
* براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح. محمد حسن عبد الرحمن. ط 1. دار الكتاب الحديث، 1409 هـ.
* خديعة الشيطان. أحمد ديدات. ترجمة : رياض أحمد باهيري. بيت الحكمة. ط 2. القاهرة. 1413 هـ.
* الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام. أميمة أحمد الشاهين الجلاهمة. دار زهراء الشرق. القاهرة.
* دراسة عن التوراة والإنجيل. كامل سعفان. دار الفضيلة. القاهرة.
* دعوة الحق بين المسيحية والإسلام. منصور حسين عبد العزيز. ط 2. مكتبة علاء الدين. الإسكندرية، 1972 م.
* دين الله في كتب أنبيائه. محمد توفيق صدقي أفندي. ط 1. دار المنار، 1330 هـ.
* العقائد المسيحية بين القرآن والعقل. هاشم جودة. ط 2. المركز العربي للنشر والتوزيع.
* العقائد الوثنية في الديانة النصرانية. محمد طاهر. محمد المجذوب. دار الشواف، 1992 م.
* عقيدة الصلب والفداء. محمد رشيد رضا. الفتح للإعلام العربي، 1411 هـ.
* الغفران بين الإسلام والمسيحية. إبراهيم خليل أحمد. ط 1. دار المنار. القاهرة. 1409 هـ.
* الفارق بين الخالق والمخلوق. عبد الرحمن البغدادي. ضبط وتعليق : عصام فارس الحرساني. ط 1. مكتبة دار عمار. عمان، 1409 هـ.
* قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة. محمد أبو الغيط الفرت. ط 1. دار الطباعة المحمدية، 1410 هـ.

- * ما هي النصرانية. محمد تقي العثماني. رابطة العالم الإسلامي. مكة المكرمة، 1984م.
- * محاضرات في مقارنة الأديان. إبراهيم خليل أحمد. ط 2. دار المنار. القاهرة، 1412هـ.
- * المسيح بين الحقائق والأوهام. محمد وصفي. دار الفضيلة.
- * المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل. عبد الكريم الخطيب. ط 1. دار الكتب الحديثة، 1965م.
- * المسيح في مصادر العقائد المسيحية. أحمد عبد الوهاب. ط 2. مكتبة وهبة. القاهرة، 1408هـ.
- * مسيحية بلا مسيح. كامل سعفان. دار الفضيلة، 1994م.
- * المسيحية الحقبة التي جاء بها المسيح. علاء أبو بكر. ط 1. مكتبة وهبة. القاهرة، 1418هـ.
- * معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير. إبراهيم الجبهان. ط 4. عالم الكتب للنشر والتوزيع. الرياض، 1981م.

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
1	مقدمة
2	صلب المسيح عند النصارى
3	صلب المسيح عند المسلمين
7	نقد الروايات الإنجيلية لحادثة الصلب
28	إبطال وقوع صلب المسيح بالدليل التاريخي
32	إبطال صلب المسيح بنبوءات التوراة
60	إبطال صلب المسيح بنبوءات وأخبار الأناجيل والرسائل
71	كيفية نجاه المسيح من المؤامرة
81	بولس واختلاق قصة صلب المسيح
84	قصة الصلب عند الأمم الوثنية
87	وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح
89	عقيدة المسلمين في الخطيئة والخلاص
91	عقيدة الخلاص عند النصارى
95	خطيئة آدم والذنب الموروث
99	فلسفة النصارى لمسألة الخطيئة والكفارة ونقضها
106	مبررات صلب المسيح عند النصارى ونقضها
114	من الفادي؟
119	من الذي خلص بصلب المسيح؟
123	نقض الناموس
129	مصادر عقيدة الفداء والخلاص
139	خاتمة
140	المصادر والمراجع